ملتـــــــون

— ٢ —

مناقشاته السياسية والدينية ـ كتبه ـ زواجه الاول ووفاته

زواجه الثانى — اعماله

وما كادت قدما ملتون تطأان أرض وطنه، حتى بلغ سمعه نبأ وفاة صديقه الوفى شارلس ديودانى، فرثاه بقصيدة لاتينية طويلة تعد بحق من خيرة مراثيه.

وقد اختتم ملتون صحيفة شبابه بهذه الفاجعة، ورغب فى أن يقود حياة جديدة، كعضو عامل فى الهيئة الاجتماعية. ولا عجب فقد بلغ عمره الآن الحادية والثلاثين. ولم يكن وحيد أبويه فكان أخوه كريستوفر يمتهن المحاماة، وكانت أخته آن متزوجة قبل دخوله الجامعة، ولما توفى زوجها تزوجت من آخر. وقد فكر ملتون طويلا فى نوع الطريق الذى ينوى أن يسلكه، وقر رأيه أخيراً أن يشتغل بالتدريس بادئاً بأولاد أخته من زوجها الاول، واستأجر لذلك منزلا لخياط بشارع كنيسة سان بريد، ثم تركه لآخر واسع ذى حديقة فسيحة، وسرعان ما امتلأت مدرسته بأولاد الحى.

ولكى نفهم جيداً هذه الفترة من حياة ملتون التى وجه فيها كل جهوده ضد ملكه وكنيسته الاهلية، يجب أن نقف بالقارئ قليلا، لنشرح له حالة البلاد عند ولادته وأثناء نشأته:

عند ماولد ملتون فى شارع بردكان جيمس الاول متربعاً أريكة ملكه منذ خمس سنوات، فتلا عصر المملكة اليصابات المملوء بالسياسيين المحنكين والشعراء المجيدين والقواد الشجعان والمستكشفين البواسل، تلا ذلك عصر ملك محتقر ارتكبت فى أيامه أشنع الجرائم، فقد كانت مربية ملتون تقص عليه كيفية قتل السير توماس أوفربرى، واسراف وفساد فيليرز المقرب من الملك. وقد سمع كثيراً عن شناعة قتل السير والتر رالى الذى حزنت عليه كل انجلترا، وقد سمع كذلك عن ذبح وصيه، كل هذه المؤثرات طوحت به الى الانضمام الى جانب البيوريتان، وتبدلت الاحوال السياسية وأصبح من الضرورى أن يختار ملتون الجانب الذى يوافقه فاختار البرلمان.

وفى سنة ١٦٤١ أخرج «رسالة فى الاصلاح» تقع فى كتابين انتقد فيها الكنيسة الاهلية، وساعد البيوريتان الذين كانوا فى نظره أقوى علماً من مطارنة الكنيسة وأساقفتها.

وأخرج هول أسقف نورويتش صاحب الكتاب الشهير «تأملات» رسالة أسماها «دفاع وضيع عن الاسقفية» فعارضه خمسة أساقفة يتكون من حروف أوائل أسمائهم كلمة smectymnus (١) فكتب ملتون كتابا آخر أسماه «كنيسة الحكومة والاسقفية» هاجم فيها الاسقفية — ومن أجله يقول جونسون: (فيه يستكشف ملتون دون تباه أو افتخار،

بكل ثقة وهدوء، رأيه السامى، ثم يعد انه سوف يقوم بعمل شئ — من يدرى الى الان ما كنهه — سيكون لبلاده من ورائه فائدة وشرف) ويقول ملتون نفسه: «ولن نتحصل على هذا الشئ إلا بمناجاة الروح الابدية» التى بمقدورها وحدها أن تمدنا بالنطق والمعرفة، مرسلة ملائكة السرافيم بنار مذبحها المقدس، لتلمس شفاه من تصطفيه وتطهرها.»

ثم يعود الدكتور جونسون ويقول: «ومن مثل هذا الوعد المتوقد المملوء بالشفقة والرحمة مع موافقته للعقل، يمكننا أن ننتظر منه اخراج (الجنة المفقودة)».

ولم تعقه كتاباته هذه عن قيامه بواجبات مدرسته، موفياً كل عمل يؤديه حقه، فكان شبابه نقياً طاهراً، وكانت رجولته مملوءة بالزهد والتقشف، وقد كان مقتصداً فى معيشته لا يتناول من المشروبات سوى الماء، فكان خير مثال لتلاميذه، وكان من آن لآخر يقوم بعمل نزهات خلوية صحبة بعد صحبة فى جريز إن وحدائق تشين دوك وتشاسى، وكان يبدو جميلا فتاناً بما يلبسه من فاخر الثياب.

وبعد استيلاء الملك على ريدنج عاش والد ملتون مع ابنه، وفى سنة ١٦٤٣ أحضر له من هويستنستيد عروساً صغيرة جميلة بادلها ملتون الحب وطارحها الغرام ثم تزوجها — وكانت مارى باول هذه ابنة أحد قضاة اكسفوردشير. ويقول فيليب ابن أخى ملتون: انها تربت فى منزل أحد الكبراء كريفية لبناته، متمتعة بكل صنوف اللذائذ والمسرات، وكانت جميلة جداً ويظهر انها لم تحافظ على عقتها تمام المحافظة أثناء اقامتها فى هذا القصر — فلم يجد فيها ملتون الرفيق الذى كان ينشده كى يقاسمه مسراته ويواسيه فى أحزانه. ومن العدل الآن أن نتكلم على مارى من حيث جانبها هى: فقد وجدت نفسها قد انتقلت فجأة من قصر مملوء المرح والحبور الى منزل يخيم عليه الوحشة والسكون، خلا من صيحات تلاميذ المدرسة اذا ضربهم ملتون. وكان من النادر أن يزورهم زائرون، وإذا حدث، كانوا من البيوريتان الذين اعتادت احتقارهم والاستهزاء بهم واعتبارهم رعاعاً ومنافقين، وتغيرت اغنياتها المرحة العادية الى تراتيل صلاة حزينة، وتحولت مآدبها الفخمة الى أكلات بسيطة جداً. أضف الى كل هذا أن زوجها كان يصرف جل وقته مع تلاميذه، وفى مشاغله، فلم تشعر مارى بشئ من الرحمة أو العطف حولها. فلما طلب والداها من ملتون أن يسمح لابنتهما بتمضية جزء من الصيف بينهما لم يظهر ممانعة. وبعد سفرها تابع ملتون بحوثه ودروسه، وكان يزور من آن لآخر لادى مرجريت لى. وبينما كان ذات مرة كالذى فى تشيجوان، كتب الى زوجته مارى يدعوها الرجوع

الى منزلها، ولكنه لم يتلق عن كتابه رداً فشفعه بثان وثالث ورابع ولم يكن حظه منها بأفضل من حظه فى الاول، فتبادر الى ذهنه أن الخطابات لابد أن تكون فقدت فى الطريق، فأوفد لها رسولا خاصاً رد على اعقابه بكل امتهان واحتقار، فغلا صدر ملتون غضباً وعقد النية على الطلاق من زوجته غير المطيعة، وكمقدمة لنيته هذه كتب رسالة اسماها «نظرية الطلاق ونظامه» شفعها بكتاب آخر اسمه «مذهب مارتن بوسر فى الطلاق» وختمها بثالث اسمه «تتراكوردون».

ومن أجل هذه الكتب الثلاثة عقد مجلس الكنيسة اجتماعه المشهور فى وستمنستر، وطلب استجواب ملتون امام مجلس اللوردات، ولكن الاخير كان عنده من مشاغله الخاصة ما هو أهم وأخطر من «أحلام رجل من البيوريتان» كما كان يسميه أعداؤه، فرفض النظر فى أمره، ورغم هذه النتيجة فلم ينس ملتون لأصدقائه البرسبتريان القدماء هذه الفعلة ولم يغفرها لهم طول حياته.

بعد ذلك نرى ملتون يبادل فتاة يانعة الحب، وهذه الفتاة هى مس دافيز ابنة الدكتور دافيز، ثم طلب يدها من والدها، وبينما كان هذا فى تردده، اذ حدث ما سبب فصل الخطاب، اذ بينما كان ذات مرة فى زيارة أحد اقاربه بلا كرو بشارع سان مارتن اذ اندفعت زوجته فجأة من الغرفة المجاورة راكعة عند أقدامه ذارفة من دموع التوبة والشفقة ما جعله يرضى بها أخيراً، وكانت حياتهما بعد ذلك يرفرف عليها النعيم والهناء، وزاد فى سعادتهما أن رزقا بمولود ربط قلبيهما رباطاً وثيقاً. وأخيراً رزئ ملتون بوفاة زوجته بعد أن أتته بمولودين آخرين.

وقد اختار مجلس الادارة الجديد ملتون سكرتيراً لاتينياً، طالباً منه أن يكتب ضد الكتاب الذى يقال إنه من تأليف الملك شارل الأول التعيس وهو كتاب «عبادة الصور المقدسة» والذى كان داعية الى تحول الناس الى جانبه والعطف عليه، فبذل ملتون مجهوده المعتاد، وسرعان ما ظهر له كتاب فى محاربة مذهب كتاب شارل الأول واسمى كتابه Iconoclastes أى الاعتراض على عبادة الصور المقدسة.

ويجدر بنا هنا أن نذكر أنه فى سنة ١٦٤٥ ظهر له قاموسه اللاتينى الانجليزى وطبع قصائده، وبعد تنفيذ حكم الاعدام فى شارل الأول، أصدر ملتون كتاباً بين فيه للبرسبتريان صواب فكرة قتل الملك، ابتغاء توحيد صفوفهم من جديد، ولم يكن مغالياً إذ قال ان البرسبتريان هم المسببون الحقيقيون فى قتل الملك،

وفى ذلك الوقت كان يشكو من مرض فى عينيه كان يهدده بفقدان بصره، ولكنه لم يأبه له. فلما دعاه البرلمان سنة ١٦٥١ كى يرد على كتاب سالامسيس المشهور defensio regio بادر الى التنفيذ بنشاطه ومجهوده المعهودين، مع علمه بأن نتيجة ذلك لن تكون سوى فقد أعز شئ لديه الا وهو بصره، وفى النهاية كوفئ بألف من الجنيهات وكذا بفقد بصره.

ولكن من السهل أن تقسم مناقشاته الدينية والسياسية الاخرى، والأجدى بنا أن نتركها الى تاريخ حياته الخصوصية والمنزلية.

بعد وفاة زوجته الأولى بثلاث سنوات تزوج ملتون المرة الثانية من كاترين ابنة الماجور وودكوك التى كان يهيم ملتون بحبها والتى تملكت كل عواطف الشاعر ومشاعره. ولكن القدر القاسى أبى أن يتركهما وشأنهما يرتعان فى بحبوحة السعادة أكثر من سنة واحدة، أرسل بعدها المنون فاختطفها من يد زوجها أثناء وضعها الطفل. وقد بكاها ملتون بقصيدة طويلة شبيهة بمرثية بيترارك لحبيبته لورا.

بعد أن أفاق ملتون مما ألم به، عقد النية على أن يعد نفسه لثلاثة أعمال هامة: أولها كتابة قاموس لاتينى كبير، والثانى كتابة تاريخ لانكلترا والثالث لا يدرى للآن اسمه. ويجب أن نلاحظ عبء مثل هذا العمل على رجل ولكنه غير عادى بل فاقد لبصره. غير أنه لسوء الحظ لم يتمم ملتون قاموسه، ولم يصل بتاريخه إلا الى غزوة النورمنديين، وأما الكتاب الثالث فأكمله وهو عبارة عن «الفردوس المفقود» — وقد كان فى عزمه أن يجعل هذا العنوان اسما لدراما تبدأ بخطاب الشيطان للشمس ولكن بيوريتا نيته المتأصلة وتأنيب ضميره له على التعرض بالسوء لرجل مات فى كتابه Iconclastes، حولاه عن عزمه الى كتابة «الفردوس المفقود» الحالى.

وفى العدد القادم سوف نذكر بقية أعماله الخالدة حتى وفاته وكذا نماذج من قصائده المشهورة.

عبد الحميد حمدى

---

(١) وهذه هى أسماؤهم: ستيفن مارشال، ادموند كالامى، توماس يتج؟ (مربيه) ماثيو نيوكومن وليم سبرستاد.

(تابع بعنوانه السياسة)



السياسة الأسبوعية



ASSIASSA HEBDOMADAIRE



فى السياسة العالمية

فى هذا العـــدد

فى هذا العـــدد



بين الصين وروسيا

روسيا — هذا شهد يجب أن أحصل عليه ولكن كيف أصنع وهذا النحل يحميه؟ يجب أن أبذل كل شئ!!

(عن ... الـ ...)

السبت ٢١ ديسمبر سنة ١٩٢٩ — السنة الرابعة — العدد ١٩٦

ادارة الجريدة بشارع المناخ رقم ٣٠
تليفون ١١٤١ مدينة
رئيس التحرير المسئول
محمد حسين هيكل

السياسة الأسبوعية

الاعلانات : يتفق عليها مع الادارة
الاشتراكات : عن سنة داخل القطر ٦٠ قرشاً
« خارج القطر ٣٠ شلناً
AL SIASSA 30 Rue Manakh - Le Caire
Téléph. 1141 M.

تراجم مصرية وغربية

مقدمة الكتاب الذى أصدره الدكتور هيكل بك فى الاسبوع الماضى

يحتوى هذا المجلد كتابين من التراجم . فأما أولها فيتناول تراجم مصرية لرجال هذا العصر الاخير منذ ولاية الخديو اسماعيل باشا الحكم الى وقتنا الحاضر ، خلا ترجمة لكليوباترة كتبت قبل أن تكتب هذه التراجم جميعاً . أما سائر التراجم المصرية فنشرت فى السياسة الاسبوعية حين كانت تنشر فيها فصول رجال التاريخ الحديث فى مصر ، اللهم إلا ترجمة محمود سليمان باشا فقد كتبت لمناسبة وفاته ، و ترجمة عبد الخالق ثروت باشا فقد كتبت ولم تنشر فى غير هذا الكتاب . وربما كانت الترجمة لرجل كثروت باشا عاش بين أظهرنا وكان له دور فى حياة مصر أثناء وجودنا ، مما يتعذر اداؤه بما تقضى به الدقة التاريخية وما توجبه من تمحيص ونقد . وكنت أنا شاعراً كل الشعور بهذه الدقة أثناء كتابتى هذه الترجمة . لكنى انما تخطيت هذه الاعتبارات لأنى أردت أن أضع أمام القارىء صورة ، ولو تقريبية ، لحياة مصر السياسية فى هذا العصر الاخير . ومادمت قد بدأت هذه الصورة منذ عصر اسماعيل باشا الخديو ، فقد رأيت واجباً اتمامها الى آخر عصرنا الحاضر . ثم مادمت بدأتها بترجمة لبعض من كان لهم فى حياة مصر السياسية أثر ظاهر ، فمن حق ثروت باشا أن يكون ختام هذه السلسلة من هؤلاء الرجال الذين تناولت . على أنى رأيت أن أقف فى ترجمته عند الوقائع الثابتة وأن أتجنب المغامرة فى الفروض والظنون ، حتى لا يتعرض ما أكتب عنه لنقد يهدمه وان أمكن أن يتعرض فيه [illegible] كثير .

أما الكتاب الثانى فيتناول ترجمة بتهوفن ، وشكسبير ، وشلى ، من كبار رجال [illegible] وهؤلاء انما ترجمت لهم لمناسبات [illegible] أن أسماءهم منذ زمان طويل جداً [illegible] مناسبات كرور مائة عام على [illegible] أو على مولدهم أو نحوها من [illegible] على هذا الحب الذى [illegible] الرجال ، جميل ما لهم ما أفدت من [illegible] من معانى السرور بها والطرب [illegible] هذا الحب بالباب صورة [illegible] الصورة المتمثلة [illegible] الذى وضعته للكتاب هو [illegible]

الرسائل . فانا لم أتناول ، أغلب الامر ، إلا ما اعتقدته الناحية الغالبة فى حياة الشخص والتى كان لها فيه الاثر البالغ . وأنا قد تناولت هذه الناحية فى ايجاز جعلنى أختار فى نفسى اسما للكتاب تؤديه الكلمتان الانكليزيتان (Biographical Sketches) . على أنى بعد البحث مع أصحابى لم أهتد لعبارة عربية سائغة لأن تكون عنوانا للكتاب تؤدى هاتين الكلمتين أداء دقيقا . وفكرت وقتا فى أن أجعل عنوانه (من صحف التاريخ) . وأشار على صديق بأن أجعل العنوان (ملامح) . ثم انتهيت الى هذا العنوان الذى ظهر الكتاب به . فاذا كان فيه شىء من الادعاء فليس الذنب فى ذلك ذنبى وانما هو العجز عن أن أجد المقابل الصالح للصورة المضبوطة التى تعبر تعبيراً صادقاً عما فى الكتاب

وكم وددت لو أنى استطعت أن أجعل الكتاب كله تراجم مصرية صرفة ، بل لو استطعت أن أظهره فى عدة أجزاء تصل التراجم فيها بين عصور مصر المختلفة منذ عهد الفراعنة الى وقتنا الحاضر . فما أشك فى أن كتابا كهذا يكشف من تاريخ مصر عن صلة عصورها بعضها ببعض وعن جهود المصريين المتصلة منذ أول التاريخ الى عصرنا الحاضر فى سبيل الحق والحرية والعرفان . على أنى أعترف بأن عملا كهذا مما لا يطيقه شخص وحده ، ومما لا أطيق أنا بنوع خاص . فانى لم أتخصص فى التاريخ ولم تمل بى حياتى العملية نحوه الا بمقدار . ثم ان تاريخ مصر فى مختلف عصورها ما زال مبعثراً فى أطواء الكتب القديمة ، لم يعن أحد ، ولم تعن الجامعة المصرية نفسها ، بالكشف عنه كشفاً علمياً صحيحاً وبتدوينه على طريقة تجعله عذبا سائغ المورد لمن يشاء أن يصل الى الحقائق فيه من غير أن تصده الطريقة النيئة أو اللغة المضطربة أو القصص الملفق . واذا كنت قد وقفت على تاريخ مصر بشىء من الدقة فى العصور الاخيرة فذلك حين كتابة رسالتى للدكتوراه فى القانون عن (دين مصر العام) . فقد اضطرنى ذلك الى الانقطاع لدراسة التاريخ الحديث منذ عهد والى مصر سعيد باشا والاكباب على هذه الدراسة شهوراً متوالية ، وتدوين الملاحظات والوقوف عند الأشخاص الذين كان لهم فى حياة مصر السياسية أثناء هذا العصر الاخير دور خاص . وما زال كثير مما وقفت [illegible]

بها عالقاً بذهنى ممثلا أمام خيالى صورة مصر منذ أيام محمد على وصور الكثيرين ممن لعبوا دوراً خاصاً فى حياتها . فأما قاسم أمين فقد عنيت بقراءة كتبه وكل ما كتب عنه مذ كنت فى دراسة الحقوق بمصر ، فتكونت فى نفسى منه فكرة أحسبها دقيقة غاية الدقة . وأتاح لى اشتغالى بشؤون مصر السياسية فى السنوات الاخيرة أن أضبط صور من ترجمت لهم من هؤلاء جهد ما واتتنى به الطاقة .

وان كتابا كالذى أشرت اليه حاويا تراجم أكابر رجال مصر فى عصورها المختلفة منذ الفراعنه الى اليوم ، يكون لاريب جليل الأثر فى تكوين صورة تاريخية لهذا الوادى الجميل الذى نعيش فيه ، صورة تظهر اتصال الحياة على ضفاف نهره المبارك منذ أقدم الازمان الى وقتنا الحاضر . ثم ان مثل هذا الكتاب ليدل دلالة كبرى على بطلان الصورة الزائفة التى يضعها مورخو الغرب لتاريخ مصر . فالواقع أن تاريخ بلادنا لم يضعه حتى اليوم مؤرخ منصف على طريقة علمية صحيحة ، اللهم الا ما تعلق ببعض جوانب العصر الفرعونى من عصوره . فأما ما بعد ذلك من عصور فقد شوهه الساسة الاجانب لمآربهم الخاصة منذ القدم : شوهه العرب الذين خلفوا الرومان فى مصر ، كما شوهه نابليون حين قدومه بالحملة الفرنسية فى آخر القرن الثامن عشر ، ثم كان لكتاب الانكليز بعد ذلك النصيب الاوفى من تشويهه تشويهاً قائماً على ذلك الاساس الاستعمارى من أن شعب مصر قد ظل محكوماً منذ انتهى عهد الفراعنة بأمم أجنبية عن مصر . فالفرس ، ثم اليونان ، ثم الرومان ، ثم العرب ، ثم الترك ، ثم الانجليز . وشعب هذا شأنه ، فيما يدعون ، لا يعرف لنفسه عليه كرامة يضحى فى سبيلها ولا يقدر للعزة القومية معنى يثور من أجل تحقيقه . وما يزال هذا التاريخ هو ، مع الكثير من الأسف ، التاريخ الرسمى الذى درس لنا ويدرس اليوم لأبنائنا . هذا على أن التاريخ الصحيح والتراجم الحقة تنادى بكذب هذه الصورة من حياة مصر على تعاقب الازمان وبطلانها .

ولست واثقاً من أن تمكننى الفرص من الرجوع الى تواريخ هذه العصور القديمة والى تراجم الرجال الذين عاشوا فيها . لأثبت حينئذ فى شىء من التفصيل أن تاريخ مصر جدير بأن يفخر المصريون به اكثر مما يفخر غيرهم من أبناء أية أمة أخرى بتاريخها . لذلك أسارع فأنتهز فرصة نشر هذا الكتاب المشتمل على تراجم لبعض رجال مصر فى العصر الاخير وعلى ترجمة كليوباترة خاتمة عهد البطالسة فى مصر ، لأبين زيف تلك الصورة التى يصورها الساسة الاستعماريون ، ولأظهر القارىء فى كلمات موجزة [illegible]

على أن شعبها أعرق الشعوب حرصا على قوميته وأكثرها تضحية فى سبيل الحق والحرية والعرفان .

على أنى قبل أن أعالج هذا البيان أود أن أثبت للحقيقة أن بعض الذين أرخوا مصر من أهل الأمم المختلفة كانوا حسنى النية ، ولكنهم خدعوا بتمويه الساسة . وما أشك فى أنهم متى أطلعوا على هذه المقدمة الوجيزة سيعودون الى الحق يقررونه وسيعترفون لمصر بمكانتها التاريخية السامية .

ولعل ما خدع به هؤلاء المؤرخون الحسنو النية هو ما تواضع عليه الكتاب من تبويب تاريخ مصر عصوراً أطلقت عليها أسماء أمم غير مصرية . فمن بعد العصر الفرعونى يذكرون عصر الفرس ، ثم العصر اليونانى ، ثم العصر الرومانى ، ثم العصر الاسلامى أو عصر العرب ، ثم عصر الترك ، ثم العصر الأخير عصر الاحتلال الانجليزى . وتبويب التاريخ على هذه الصورة من شأنه أن يدعو الى الخطأ وسوء التقدير من جانب من لا يكلفون أنفسهم مؤونة البحث فى التفاصيل بشىء من الدقة . والواقع أن هذا التبويب خاطىء فى اكثر مناحيه . واذا كان صحيحاً أن الحكام الذين تولوا أمر مصر فى عصور مختلفة لم يكونوا من أصل مصرى صميم ، فلن يغير ذلك من خطأ المؤرخين وادعائهم خضوع مصر لأمم أجنبية عنها ، إلا اذا اعتبرنا قيام ملك كملك الانجليز على رأس أكبر امبراطورية فى الوقت الحاضر مع أنه من أصل غير انجليزى ، دليلا على أن انجلترا والامبراطورية البريطانية كلها خاضعة للامة التى يرجع اليها مليكها . وهذا لغو من القول ، كما أن ادعاء خضوع مصر لأمم أجنبية عنها هى التى يرجع اليها أصل حكامها لغو مثله . وليس هذا المثل الذى ضربنا بالمثل الفرد ، فنابليون امبراطور فرنسا كان من كورسيكا أى كان أقرب للايطالية منه للفرنسية . وأكثر الملوك الباقين على عروش أوربا اليوم من دماء غير دماء الشعوب التى يملكونهم عليها . وليست هذه الشعوب لذلك أقل حرية واستقلالا وعظمة مما كانت مصر فى أكثر العصور التى تعاقبت عليها .

ولنعد الآن الى تاريخ مصر نفسه . فالكل يعترف لمصر الفراعنة بأنها كانت أمة عزيزة الجانب مضيئة الحضارة على نحو لا يمكن أن تتسرب اليه الشبهة مع قيام الآثار القديمة شاهدة به محدثة عنه بأقوى عبارة وأفصح لهجة . ومع هذا فقد منيت مصر الفراعنة بغزو الرعاة الهكسوس إياها مدة استمرت نحو تسعين سنة حتى استرد المصريون تاج بلادهم سنة ١٥٨٠ قبل الميلاد . وظلت مصر من بعد ذلك متحكمة فى البلاد المجاورة لها ممتدة السلطان على حوض البحر الابيض المتوسط [illegible]

الألعاب الرياضية

مسابقات العدو والقفز • مباراة التتابع السنوية • العلائق الرياضية بين المجر ومصر •
نتائج مباريات فريق يوبست

مسابقات العدو والقفز

انقضت أعوام والاتحاد المصرى للاندية الرياضية (أو المختلط قديما) يهيمن على هذا النوع من الالعاب الرياضية . وفى كل فرصة تراه يدعى الأشراف عليه . ولكى يؤكد هذا الاشراف يقيم فى كل عام ما يسميه بطولة القطر المصرى فى العاب القوى ، لا يدخلها إلا العدد القليل من المصريين .

وانقضت الثمانية عشر عاما . واذا استعرضنا فيها مجهود هذا الاتحاد بالنسبة للمصريين أو بالنسبة للاجانب أيضاً لما وجدنا أثراً يشعر بوجود هذا الاتحاد بيننا .

لننظر الى الحاملين لبطولات مختلف أنواع المسابقات . فاذا كل نوع من الأنواع له بطل من غير المصريين . ويكون عادة نال التدريب إما فى بلاده أو على يدى مدرب أجنبى . وهذا الوضع فى نفسه فضلا عن أنه مخالف للتقاليد المتبعة فى جميع انحاء العالم من ناحية قيام أبطال من غير المصريين مع ذكر ما سجلوه كأنه بيان رسمى مصرى . فانه يشعر أيضا بعدم وجود من يهوى هذا النوع من الرياضة ويهتم به من بين المصريين .

يدلنا هذا الوضع وهذه النتيجة على أن النظام الذى اتبع فى الثمانية عشر عاما الماضية فاسد من أساسه وانه يجب العمل على تعديله . وسواء لدينا تولى هذا الامر الاتحاد المصرى المسئول عن هذه اللعبة حالا ، أو تولته هيئة أخرى تقوم على أنقاض هذا الاتحاد . ولا يكون لها عمل إلا تشجيع مسابقات العدو والقفز ، ونشرها ما استطاعت الى ذلك سبيلا فى مصر بوجه عام ، وبين المصريين بوجه خاص .

ما الذى نرى عمله فى هذا الصدد

وليس هناك طريق للاتحاد المصرى للاندية الرياضية للخروج من المأزق الموجود فيه حالا من قيامه فى الحال بتعديل نظامه العتيق بتقسيم القطر المصرى الى جملة مناطق ويؤسس فى كل منطقة شبه اتحاد فرعى خاص بها مستقل بشؤونه الداخلية أسوة بما هو متبع فى اتحاد كرة القدم واتحاد الملاكمة والتنس وغيرها من الاتحادات .

هذا التغيير البسيط وحده يخلق الايدى المعدة للعمل . واذا وجدت الايدى وجد التفكير لخلق المباريات واستمرارها . أما الخطوة التالية التى يجب العمل لها فهى السعى لاقامة حفلات مستمرة تشرف عليها لجان المناطق وتشجعها أسوة بحفلات التنس العمومية التى تقام فى كل نادٍ مرة شهريا . ويجوز اقامة مباريات على كؤوس سنوية بين متسابقى الاندية وبعضها بطريقة خروج المغلوب .

كما يجوز للجنة الرئيسية للاتحاد أن تقيم مباريات بين المناطق وبعضها أسوة بكأس الملك للتنس وكأس الملك لكرة القدم ودرع كرامر للملاكمة .

ان الرياضة كغيرها من الاعمال تحتاج الى إذكاء الغيرة فى نفوس اللاعبين . وليس هناك ما يساعد على الاهتمام أكثر من خلق المباريات المستمرة التى تشغل هواة الرياضة وتجعل أجسامهم معدة دائما .

هذه بعض اقتراحات أوردناها قابلة للتعديل أو التغيير . انما أساسها الاول اما أن يعدل الاتحاد المصرى للاندية الرياضية نظامه الاولى من أساسها ، واما أن يقوم اتحاد جديد ينقذ هذه اللعبة التى هى فى الحقيقة قد تكون أهم الالعاب التى تفيد الجسم والصحة . بل ان هذا النوع من الرياضة سهل التناول على هواته لقلة ما يصرف فى شأنه سواء من المال أو الوقت . كما أنه يجوز اقامة مبارياته فى أى وقت من أوقات النهار .

ولو أردنا أن نبين كيف تهتم الدول سواء فى العالم الجديد أو القديم بالمسابقات وحفلاتها وما تعده من ميزة الانتصار فيها والتفوق على الارقام العالمية المسجلة لاحتجنا الى غير صحيفة واحدة .

ولم نأل جهداً عن ذكر البيانات العالمية التى نحصل عليها دائما فى السياسة الاسبوعية ولعل القراء يذكرون منها الكثير .

مباراة التتابع السنوية

وأحس النادى الاهلى للرياضة البدنية بالحالة السيئة التى عليها مسابقات العدو . ورأى أن مصر لم تخط الخطوات الواجبة فى هذا النوع من الرياضة ، وأنه انقضى من الاعوام ما دل على أن النظام الحالى لا يؤدى الى النتيجة المرغوبة من خلق أبطال مصريين يمكنهم منازلة غيرهم من دول العالم . لذلك فكر فى إقامة مباراة فى التتابع تشترك فيها الاندية والهيئات الرياضية الاخرى بفرق مثلها يكون فيها عداؤون لمختلف مسافات العدو الدولية على كأس يهدى للفائز . وقد قوبلت هذه الفكرة من كثير من الهيئات بالتحبيذ ، ولعلها تكون نواة إما لتحريك الاتحاد المصرى للاندية الرياضية الى العمل كى ينجو من السقوط الذى لا بد سائر اليه اذا استمر على هذا الحال ، واما الى خلق اتحاد جديد تكون اللجنة التى ستكون لادارة هذه المباراة أساسه .

ونحن أمام ذلك لا نبغى الا مصلحة مصر والاعمال الناجحة تكسب صاحبها أنصاراً لكى تكتسح ما أمامها من عقبات .

الاجتماع الاول لخلق مباراة التتابع

وقد تقرر أن يجتمع مندوبو الهيئات والاندية التى حبذت مشروع مباراة التتابع السنوية فى يوم السبت القادم ٢١ ديسمبر الجارى بالنادى الاهلى بالجزيرة الساعة ٥ وتنتخب منها [illegible]

وسيكون عمل لهذه الجمعية اعتماد قانون المباراة وانتخاب لجنة لادارتها وتحديد موعد أول حفلة لها .

العلائق الرياضية بين المجر ومصر

يزور مصر فى هذا الفصل الرياضى ١٩٢٩ — ١٩٣٠ فريق يوبست المجرى لكرة القدم لعرض العابه وقدرته ، كما يزورنا فريق التنس الاهلى المجرى أيضا ومن بينه بعض الابطال الذين يعدون فى مقدمة لاعبي التنس فى العالم .

يزورنا الفريق الاول فى ديسمبر ويناير ويزورنا فريق التنس فى فبراير . . وسيشغل الرياضيون فى هذه الشهور الثلاثة بذكر بلاد المجر كما ذكروا اسم افراد فريق يوبست لكرة القدم وكما ذكروا اسم أبطال التنس المجريين . . بل ستهرع الجماهير فى يوم ٢٧ ديسمبر الجارى الى النادى الاهلى بالقاهرة وفى ٢٩ ديسمبر الى الملعب الاسكندرى باسكندرية وفى أول يناير الى ملعب النادى المصرى ببورسعيد وفى ٣ يناير سنة ١٩٣٠ بالنادى المختلط بالقاهرة لمشاهدة منتهى ما عملته يد التدريب فى لاعبي فريق يوبست فأخرجت منهم أبطالا قهروا كل من قابلهم من فرق فى العام الماضى حتى انتزعوا بطولة أوربا الوسطى انتزاعا ممن كانوا يعدون أنفسهم أساتذتها .

وستهرع الجماهير أيضاً الى نادى الجزيرة بالقاهرة والى نادى الالعاب باسكندرية فى فبراير المقبل لمشاهدة المجريين وبينهم أبطالهم .

وزار مصر فى العام الماضى والذى قبله فرق لكرة القدم من بلاد المجر أيضا وكان ما تركته من آثار بيننا يفوق ما تركته الفرق التى زارتنا من قبل .

أصبح المصريون بعد هذه الزيارات المتوالية من الفرق الرياضية للمجر يعطفون كثيراً على هذه الدولة ويذكرونها دائما باحسن الذكريات .

لقد أدت هذه الفرق الرياضية بزياراتها للقطر المصرى اجل خدمة لبلادهم وأكبر دعاية يمكن ان تعملها الجرائد لتنال عطف أمة من الامم .

وليس هذا الأثر براجع فقط على المجر . بل ان المجريين سيذكرون «مصر» ايضاً كلما قرءوا شيئا عن رحلات فرقهم فى هذه البلاد ولابد أن يعود افراد هذه الفرق فيذكروا عنا ما يدعو الى حسن الظن بنا .

هذه آثار ملموسة من آثار الالعاب الرياضية وهى دعاية طيبة لبلادنا وبلادهم على كل حال .

نتائج مباريات فريق يوبست المجرى

وفريق «يوبست» الذى اختاره اتحاد كرة القدم هذا العام له نتائج مشرفة حقا وتترك الاثر الطيب فى النفس عن العناصر القوية التى [illegible] النشرة التى وزعها اتحاد الكرة على الجرائد فى ذكرها ما يكفى لترك أحسن الآثار فى نفس القارىء :

فى تشكوسلافيا

ضد سبارتا ٥ر٢ — ٢ر١
ضد سلافيا ١ر٤ — ٥ر١
ضد فكتوريا بلزن ٣ر١

فى النمسا

فسيناس ورت	٦ر٢
رابيد	٣ر١ — [illegible]
فينا	٣ر١
ايطاليا	
بولونيا	١ر٠
يوفنتس	٣ر١
فنيسيا	٩ر٢
نابولى	٥ر٠
روما	٥ر١
جنوا	٥ر٢
السندريا	٣ر٢
فيورنتينا	٦ر٠
بولاندا	
بولونيا	٧ر٠
فيزالابرج	٦ر٠
كراكوف	٣ر١
مكابى	٦ر١
وارثا	٤ر٠
المانيا	
فكتوريا همبورج	٥ر٠
برندبرج ورسدن	٧ر٢
سلسن بروسلاو	٨ر٢
كيكرمس ستتجرت	٤ر٠
يونتون همبرج	٢ر٠
سويسرا	
لوجانو	٨ر٤
باسل	٤ر٢
فرانسا	
ردستار	٣ر١
يوجوسلافيا	
زغرب جراديانسكى	٢ر٠
كنوردتا	٣ر١
جراديتسكى استرك	٨ر٠
سبورن سيوتايا	١٢ر٠
ساند	٧ر٠
يوجرادسكى	٤ر٠ — ٣ر١
السويد	
اجريت جوتنبرج	٢ر٢
كوراترنابوراس	٣ر١

أوائل القرن السابع قبل الميلاد . هنالك كانت الحضارة الانسانية على ضفتى النيل قد بلغت من الرقى والترف ماتشهد به الآثار التى تشهد أعيننا شيئاً منها. وهنالك بدأت أشور ، ومن بعدها فارس ، تفكر فى غزو مصر . ومع غلبهم إياها ودخولهم عاصمة ملكها غير مرة فإنهم لم يستطيعوا الاستقرار بها وتولى الحكم فيها الافترات قصيرة انتهت فى سنة ٣٣٢ قبل الميلاد .

قبيل هذا التاريخ نشأ فى شمال اليونان فليب المقدونى وخلفه من بعده الاسكندر الاكبر . وكانت الطبيعة قد وهبتهما ، ووهبت الابن بنوع خاص ، من المقدرة فى القيادة الحربية مايدخل فى باب المعجزات . وحيث يظهر فى الناس نصف إله فى الحرب أو فى الدين أو فى السياسة ترى العالم كله يتطلع معجباً مسحوراً . وقد دوخ الاسكندر روما وأشور والفرس ووصل الى الهند ، ولم تكن أمة من الامم تستطيع مقاومته . أما أمم أوربا الغربية والشمالية فكانت فى تلك الايام فى حال من الهمجية أشبه بحال أواسط إفريقية اليوم مما يجعلها نكرة على التاريخ ولا يجعل لأية مقارنة بينها وبين غيرها محل . وجاء الاسكندر الى الشام ففتحت أمامه مصر أبوابها فى سنة ٣٣٢ التى أشرنا اليها ، لانها رأت فيه مدوخ الفرس ، وكانت بينها وبين الفرس عداوة أشد العداوة. وبقيت مصر فى حكم الاسكندر ، وإن شئت فى حكم اليونان تسع سنوات ، اذ مات الاسكندر فى سنة ٣٢٣ ق . م . ثم اختلف قواده من بعده فيما بينهم ، وكان بطليموس بن لاجوس من أقدرهم ومن أعرفهم بمصر وأشدهم حباً لها . وإذ كانت مصر يومئذ بحاجة الى رجل ذى مواهب حربية ممتازة يستطيع أن يصد بقواها عدوان من يحاول الاعتداء عليها ، فقد اطمأنت الى بقاء بطليموس فيها مستقبلا بها مستقلة هى به وحدث ماأراد المصريون من ذلك . فان هذا البطل من قواد الاسكندر جعل الاسكندرية قاعدة له ومنها حارب الاشوريين والفرس وحارب اليونان أنفسهم ووطد لمصر سلطانا أعاد لها ولحضارتها عز الفراعنة الذى اضطرب وتزعزع خلال القرون الثلاثة التى سبقت ولايته عرش ايزيس واوزوريس . ومع أن بطليموس الاول هذا كان أشد حرصاً على طقوس الديانة اليونانية التى نشأ فيها فان ابنه بطليموس الثانى كان مصريا فى دينه مصريا فى عاداته مصريا فى دمه . ولا عجب ، فمصر ، بعزلتها عن العالم المحيط بها من البحر فى شمالها والصحارى فى سائر جهاتها ، هى عالم وحده تخلق الناس فيها خلقاً وتسكب فى عروقهم دماء تجرى فيها روح النيل وقوة سلطانه . ولذلك كان كل الذين أقاموا بمصر إما تمثلتهم مصر فأصبحوا مصريين ، أو لفظتهم فلم يطيقوا ولم يطق أخلافهم من بعدهم بها مقاما . وبلغ من حب بطليموس الثانى مصر وحب مصر إياه أن أصبحت الاسكندرية عاصمة العالم كله حضارة وعلما وإيمانا وأن اجتمعت فيها فلسفة اليونان المادية بمثالية مصر الروحية ، ثم نشأت منهما فلسفة مصرية خاصة هى فلسفة مدرسة الاسكندرية .

سياستها ، وضم النظار والتأويل فى روما واليونان وآشور والفرس وسائر بلاد العالم المعروف حينئذ . وتعاقب البطالسة حتى كليوباطرة فى حكم مصر ثلاثة قرون متوالية . تعاقب البطالسة على عرش مصر بارادة شعب مصر مستقلين به مستقلا هو بهم قائمين باسمه ناشرين على ربوع العالم المعروف يومئذ لواءه . فهل يكون نعت هذا العصر من تاريخ مصر بالعصر اليونانى معناه خضوع الشعب المصرى لأمة أخرى أو يكون ذلك التصوير باطلا البطلان كله لأن شعوب العالم ومنها الشعب اليونانى هو الذى خضع لمصر فى كل تلك القرون الثلاثة وكان يرى فى الاسكندرية عاصمة الدنيا كلها ،

وفى أواخر عهد البطالسة بدأ نجم روما يعلو فى سماء السياسة العالمية ، وبدأت روما تطمع فى التغلب على مصر بعد أن كانت تخطب ودها وتخشى غضبها . وكما وهبت الاقدار الاسكندر المقدونى المقدرة الحربية التى استطاع بها أن يتغلب على كل شعوب العالم المعروف يومئذ ، كذلك وهبت هذه الاقدار مثل تلك المقدرة يوليوس قيصر صاحب عرش روما . فلقد ظفرت جيوش قيصر بالشعوب كلها ورفعت راية روما على اليونان والشام وامتدت غزواتها الى ناحية اشور ثم سارت شمالا وغربا فاخضعت السكسون فى المانيا والفرنسيين فى بلاد (الجول) وأخضعت أهل الجزيرة البريطانية لحكم قيصر . فاذا كانت هذه الاقدار قد عصفت بمصر فلم تكن مصر لذلك متفردة بالخضوع دون غيرها من أمم العالم . وصحيح أن حكم روما لمصر عن طريق حاكم تبعث به اليها ظل متتابعاً قرونا عدة ، لكن الصحيح كذلك أن هذا الحاكم كان يجد أكثر الامر أشد العنت فى حكم البلاد وكان يتعرض للثورات المتوالية تقوم عليه وتضطر روما معها للاحتماء بالاسكندرية أحياناً تاركة داخلية البلاد يحكمها اهلها وتتمكن احيانا أخرى من قمع هذه الثورات والتغلب عليها واخضاع مصر لنير روما قهراً عنها .

والمؤرخون جميعاً متفقون تمام الاتفاق على أن السكينة والامن لم يسودا مصر طول هذا الذى يسمونه العهد الرومانى . فان روما كانت كما كانت بيزانس من بعدها ، دائمة الوجل من ناحية مصر من خشية أن ينقطع عنها مدد الغلال التى كانت مصر تبعث بها غذاء لاهل عاصمة العالم فى ذلك الحين . ولم تكن أسباب الاضطراب يومئذ مقصورة على الناحية السياسية . بل خلق المصريون منها فى سائر النواحى ما ارتبكت روما معه وما اضطربت بسببه لارتكاب الفظائع التى ما يزال تاريخها ملطخا بها . من هذه الاسباب السبب الدينى . فقد كان الدين المصرى القديم بعد اختلاطه بالتعاليم اليونانية قد قصر عن أن يلهم الشعب مايلهم كل دين من طمأنينة النفس وسعة الامل . وكانت المسيحية الوليدة فى روما قد بدأت تنتقل الى مصر رويداً رويداً . وكان الطبيعى أن يلقى الدين الجديد فى مصر نمواً جميلا . فقد كان اليهود فى مصر كثيرى العدد جداً ، وكانت الديانة اليهودية تتصل فى كثير بالديانة الفرعونية القديمة إن كان موسى مصريا [illegible]

وكان الاضطهاد الرومانى مما جعل الناس أشد إقبالا على دين يدعو الى الاخاء والسلام والتسامح ويعد الجنة المحروم والبائس والمظلوم . على أن خلافا فى الرأى الدينى مالبث أن نشأ فى مصر بين المتشبعين من قبل بتعاليم الفلسفة اليونانية والآخذين بروحية الديانة المصرية القديمة . وكم أثار هذا الانقسام الدينى من خلاف ! وكم اتخذ سبباً خفياً للثورة على روما ومحاربتها والتغلب فى بعض الأحايين على ولاتها وحكامها واستقلال أهل مصر بالحكم فى مختلف ولاياتها .

وكذلك نرى أن مصر قد تمثلت البطالسة وهضمتهم طبيعتها فأصبحوا مصريين كسائر المصريين وان كانوا من أصل يونانى . فأما الرومانيون الذين أرادوا الاحتفاظ برومانيتهم وحكم مصر على غير إرادة أهلها فقد ظلوا تناهضهم عناصر الحياة فى مصر حتى انجلوا عنها كارهين . وكذلك كانت دورات التاريخ فى مصر دائماً . فمن خضع لحكم الطبيعة المصرية القوية فى تمثلها من ينزل ربوعها كان له أن يطمع فى نعيمها وأن يستريح الى خيرها ورخائها . ومن حاول محاربة هذه الطبيعة المصرية كانت عليه حربا عوانا . لكنها لا تلجأ فى حربها الى العواصف الاجتماعية التى تثور فجأة مرة بعد أخرى . كلا ! بل هى تلجأ فى الناحية السياسية والاجتماعية الى مثل ماتلجأ اليه الطبيعة المصرية من شمس وهواء ونهر وأرض ورمال . هذه الطبيعة لاتعصف بشئ أجنبى عنها ولكنها تظل حتى تبليه وتفنيه .

وانتهى حكم الرومان وعقبه العصر الاسلامى لتكتب مصر خلاله صحف مجد فى تاريخها كأمة مستقلة ناهضة بأعباء الحضارة فى العالم على نحو ما كانت مصر الفراعنة ، تاركة من آثار ذلك مثل ما تركوا مما لا يزال شهيداً على العظمة والجلال وتقدم المدنية وارتقاء آثارها من علم وفن الى أبعد حدود الارتقاء . فقد نهض العرب منذ أوائل القرن السابع الميلادى نهضة روحية بفضل الاسلام أعقبتها نهضة حربية قوية متأثرة بها لاتقل فى اندفاعها اكتساحا لغيرها من الأمم عن نهضة الاسكندر فى اليونان وقيصر فى روما . ولم تقف مصر فى وجه تيار هذه النهضة أن شامت فى الدين الجديد جدة روحية كانت تشعر بالحاجة اليها شعوراً عميقاً . فان المسيحية ، على أنها دين فضل وجمال ، قد خالطت طقوسها صور من الزهد والتقشف والانقطاع عما لا يتفق مع طبيعة وادى النيل الدائم الصفو الدائم الابتسام . وهذا التنافر بين ابتسام الوادى وعبوس التقشف ، جعل دعاة المسيحية فى مصر يلوذون فى ميلهم الى جانب الانقطاع والزهد وتقشف العيش فى صوامع خشنة فوق رمال الصحراء المحرقة ، وذلك لفرط خوفهم من زخرف الوادى ونضارة نعيمه . وبالرغم من قيام طائفة من المصريين المسيحيين تحاول التوفيق بين تعاليم دين عيسى وبهجة النيل وبركاته لان دعاة الزهد والتقشف كانوا أصحاب الغلبة . فلما أذن مؤذن المسلمين بأن الشريعة الغالبة لاتنقطع عن التمتع بالدنيا ونعيمها [illegible]

من العرب ، حملة هذا الدين وحماته ، كل من تستطيع أن تؤويه . ولم يكن ذلك عجباً فى أرض الأنبياء ولا هو كان عجباً فى عصر لم تكن الفكرة القومية فيه قد نمت النمو الذى نعرف اليوم . فالأماكن المقدسة فى مكة والمدينة كانت معتبرة فى نظر المسلمين جميعاً عاصمة المملكة الاسلامية كما كان الخلفاء الراشدون ، ثم أمراء المؤمنين من بعد ، معتبرين كلمة الله على الارض تجب لهم على كل مسلم الطاعة المطلقة . لكن غريزة القومية كانت قوية فى مصر بسبب عزلة مصر عما جاورها ، يفصل بينها وبين كل جار من البحار أو الصحارى مالا يسهل اجتيازه . لذلك لم تلبث خلافة الراشدين أن انتهت وأن قام يزيد بن معاوية اميراً المؤمنين خلفا لأبيه ، حتى بدأت نذر الانتقاض على السلطة المركزية تبدو فى مصر برغم أنها كانت حلقة وسطى فى سلسلة الفتوحات الاسلامية المستمرة المتوالية ذاهبة الى الغرب حتى تصل الى مراكش كى يغزو موسى ابن نصير الأندلس منها متخطيا جبل طارق ، ولم يكد حكم بغداد وسلطان الدولة العباسية يستقر ويطمئن حتى بدأت مصر تقوم مستقلة استقلالا ناجزاً صحيحاً : استقلت أول أمرها حين قامت الاسرة الطولونية بالحكم فيها . ونازع الاخشيديون الطولونيين وغلبوهم واستقلوا بعرش مصر ، ثم جاء الفاطميون من ناحية المغرب فأجلوا الاخشيديين وأسسوا بمصر دولتهم بفضل قائدهم جوهر الصقلى الذى أنشأ القاهرة . واحتل الايوبيون العرش من بعد الفاطميين . وفى هذه القرون المتوالية كانت مصر مستقلة بشؤونها بالغة فى أحيان كثيرة المكانة الاولى بين الامم الاسلامية صاحبة الغلب على أمم العالم جميعاً . ولن ينسى أحد من ذلك فضلها العظيم فى الناحية العلمية والأدبية . فقد كان الجامع الازهر منذ أنشأه الفاطميون الجامعة الاسلامية الاولى سواء كان ذلك فى أول عهد الفاطميين حين كانت التعاليم الشيعية تلقى من فوق منابره ، أو كان فى العهد السنى الذى جعل له حتى عصرنا الحاضر المقام الاول بين الجامعات الدينية الأسلامية . ثم لن ينسى أحد كذلك ما كان لمصر من مجد وفخار فى الحروب الصليبية حين تألبت أوربا تريد أن تغلب المسلمين على أمرهم فى الأماكن المقدسة بفلسطين وتضع يدها عليها باسم الصليب . فقد كانت الجيوش المصرية المظفرة هى التى صدت أكبر الغارات وأشدها هولا . واسم صلاح الدين الايوبى باق على الزمان بقاء الزمان كلما ذكرت تلك الحروب . وهزيمة لويس التاسع فى المنصورة وسجنه بها باق كذلك شهيد على مجيد فعال مصر فى صد الغارة الصليبية . وكان هذا كله والدولة العباسية ببغداد ما تزال باقية وما يزال لها اسم دولة الخلافة مما أدى بطائفة من المؤرخين الى الوقوع فى الخطأ واعتبارهم هذه القرون المتوالية على مصر ، وهى متمتعة باستقلالها متبوئة من صروح الحضارة والعلم مافاق كل ماعرفت [illegible] بعض ما توالى على مصر من ظلم وما أصاب أهلها من مهانة وذل .

وليس فى حاجة الى المزيد [illegible]

على أن مصر كانت تابعة لأمة أخرى . فالملوك [illegible] أكثر الامم وفى مختلف عصور التاريخ [illegible] يكونوا أكثر الامر من أهل تلك الامم [illegible] تصيب أصل دولهم . لكنهم وقد عظموا بها كما عظم بمصر ملوك مصر فقد نسبوا اليها على حين يصر المؤرخون على نسبة ملوك مصر لبلاد غير مصر ، والغلو فى ذلك الى حد القول بأن مصر وملوكها كانوا تابعين لدولة أخرى . وهم يقولون : ألم يتول أحمد بن طولون أمر مصر من قبل العباسيين وإن استقل من بعدها ؟ إذاً فمصر ولاية عباسية . والحقيقة أن الخلافة الاسلامية فى تلك العصور كانت قد انحلت عنها الصبغة الزمنية وبقيت لها السلطة الروحية وحدها . فكانت تبعية كثير من الدول الاسلامية لها شبيهة كل الشبه بتبعية الدول المسيحية لبابا روما . واستقلال الامم وسيادتها لاشأن لها بالسلطان الروحى ، وانما مرجع أمرها الى السلطان الزمنى . فمادام فى عاصمة مملكة من الممالك كل أمر هذه المملكة الزمنى فما يكن لها من الاتصال الروحى بمكة أو دمشق أو ببغداد أو بروما ما تشاء فلن يغير ذلك قليلا ولا كثيراً من أنها أمة كاملة الاستقلال . والامر الذى لاريبة فيه أن الخلافة الاسلامية انحلت عنها السلطة الزمنية انحلالا تاما من بعد خلافة المأمون ومنذ بدأ المعتصم يتزيد فى حكم الدولة العربية وحدها . هذا إلى أن أولئك الذين حكموا مصر من طولونيين واخشيديين وفاطميين وأيوبيين كان شأنهم شأن طوائف تماثلهم فى أكثر بلاد أوربا حضارة ورقيا ، طوائف جاءت الى انكلترا وفرنسا وألمانيا وغير هذه من الدول من بلاد أخرى فى بعض الغزوات ، وكانت فى ركاب الغازى ثم اندمجت من بعد ذلك فى الشعب ، وظل لها مع ذلك من تاريخها ما يحفظ لها فى نظام الطوائف أقرب مكان من العرش ، فهى أبداً تتطلع الى مقامه وكثيراً ما اتصل الى ارتقائه .

واستمر حكم الدول الطولونية والاخشيدية والفاطمية والأيوبية بمصر من سنة ٨٦٨ الى سنة ١٢٥٠ . ومن بعد هذا التاريخ ازداد انحلال السلطان الروحى للخلافة وزالت الدولة العباسية نفسها من بغداد واستولى التتار على أكثر ممتلكاتها الآسيوية . أما مصر فقد استمرت تخطو الى الامام خطوات واسعة فى سبيل التقدم والحضارة ، وكان المماليك هم الذين حلوا محل الأيوبية فى الحكم . والمماليك هم بعض الطوائف التى أشرنا اليها والتى تجئ فى ركاب الغزاة ، ثم تصل فى كثير من الاحيان الى عرش البلاد باقرار أهل البلاد أنفسهم . وهؤلاء المماليك كانوا قد جاءوا الى مصر فى بلاط الذين سبقوهم والأيوبيين منهم بنوع خاص ، واستخدمهم هؤلاء الحكام ليكونوا فى قصورهم وفى جيوشهم وليكون لهم من نسائهم جوارى وسرارى وموالى . ومن شأن هؤلاء أن يكونوا أكثر من كل الناس وقوفا على أسرار الدولة ومعرفة بدواخل أمورهم وأسباب ضعفهم . فكان طبيعيا بعد إذ كثروا فى الدولة وحلت منهم جيشا جرارا أن يخلفوا [illegible] كالايوبيين .

وكانت مصر مستقلة بهم تمام الاستقلال غير خاضعة لحكم أية دولة أخرى . بل لقد كانت فى عهدهم عزيزة الجناب مرهوبة الجانب من كل دول البحر المتوسط التى كانت وحدها المعتبرة ذات حضارة معترف بها فى العالم كله . وبلغت من ذلك أن أصبحت القاهرة مقر الخلافة الاسلامية ممثلة فى العباسيين الذين انقرضوا ملوكا ، فلم يبق للخلافة منهم إلا شبح ذابل أراد الظاهر بيبرس أن يخلع عليه رواء من قوة مصر ومجدها بأن يسكن الخليفة العباسى فى عاصمة ملكه . ولم يكن الظاهر فى هذا دعياً ولا مغروراً . فقد بلغت مصر فى عهد المماليك البحرية والبرجية من الرفعة شأواً عظيما حتى كانت صاحبة الاملاء على السياسة الدولية فى ذلك العصر . ولم يقف أمرها فى عظمتها عند السلطان الحربى ، بل كان لها أكثر منه سلطان علمى وأدبى معترف به ، كما كانت مركز الدائرة من حركة التجارة العالمية . وكمثل من سلطان مصر الادبى أضع تحت نظر القارئ الفقرة الآتية من كتاب الاستاذ عبد الرحمن بك الرافعى « تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر » قال :

« ظلت الاداب العربية فى عهد السلاطين البحرية والبرجية الشراكسة حافظة مكانتها التى كانت لها من قبل ، واليهم يرجع الفضل فى إنقاذ آداب العربية من غزوات المغول التى كادت تقضى على العلوم والاداب العربية فى الشرق . فكانت مصر ملجأ للناطقين بالضاد ممن فروا أمام التتار فى العراق وفارس وسوريا وخراسان ، وبقيت لغة حكومتها عربية فى عهد تينك الدولتين ، واستظلت العلوم والاداب العربية بحماية الملوك والسلاطين فى مصر ، ونبغ فيها طائفة من فطاحل الشعراء والأدباء والعلماء ، كالبوصيرى صاحب البردة ، والسراج الوراق وابن نباتة المصرى ، والقلقشندى صاحب صبح الاعشى ، والابشيهى صاحب المستطرف وابن منظور صاحب لسان العرب ، وابن هشام النحوى العظيم الذى يقال فيه انه أنحى من سيبويه ، وابن عبد الظاهر ، والنواجى — نسبة الى نواج احدى قرى مديرية الغربية — صاحب حلبة الكميت ، والقسطلانى المحدث المشهور ، وشمس الدين السخاوى صاحب الضوء اللامع ، وابن خلكان المؤرخ المشهور صاحب وفيات الاعيان ، والصفدى صاحب الوافى ، وابن حجر المؤرخ امام الحفاظ والمحدثين فى زمانه ، والعينى المؤرخ والمحدث ، وابن وصيف شاه ، وابن دقماق ، والمقريزى صاحب الخطط ، والمكين ابن العميد ، وابو الفداء المؤرخ الجغرافى المشهور صاحب تقويم البلدان ، والذهبى ، والنويرى صاحب نهاية الارب فى فنون الادب ، وابن فضل الله العمرى صاحب مسالك الابصار فى ممالك الامصار ، وابن عقيل ، وابن تغرى بردى صاحب النجوم الزاهرة ، وجلال الدين السيوطى صاحب التآليف الشهيرة فى التفسير والعلوم الشرعية والتاريخ والأدب واللغة وهو آخر من ظهر فى ذلك العصر من كبار العلماء ، والدميرى صاحب حياة الحيوان ، وابن اياس المؤرخ الذى أدرك الفتح العثمانى . وقد [illegible]

العلوم والفلسفة فى الشرق ، كالامام ابن تيمية وابن القيم الجوزية وفيلسوف المؤرخين ابن خلدون »

ونضع كذلك تحت نظر القارئ هذه العبارة من كتاب « صفحات فى تاريخ مصر » للاستاذ توفيق حامد المرعشلى ، ليرى منها مبلغ ماوصلت اليه مصر أيام المماليك من عظمة فى نواحى حياتها الاقتصادية والسياسية ، قال : « ان عصر المماليك يعد من عصور الرخاء والنشاط التجارى والاقتصادى بمصر . فكانت الصلة بين مصر ودول أوربا موطدة الدعائم . عقدت المعاهدات مع فرنسا وجمهوريات ايطاليا لحماية التجار الأجانب وترغيبهم فى الاقامة بمصر ، فراجت الاسواق التجارية وصارت مصر الملتقى التجارى بين الشرق والغرب سواء أكان بمرور التجارة من مصر فالبحر الاحمر الى الهند أو من الشام الى العراق فالخليج الفارسى الى بلاد العجم والهند وبالعكس من الطريقين ، بما عاد على المماليك وخزائنهم وعلى المصريين ضمنا بالاموال الطائلة التى كانت تجبى من المكوس والحركة التجارية » . فأما رقى الفنون ، وفن العمارة منها بنوع خاص ، فتشهد به الاثار الكثيرة الموجودة بمصر ومنها المساجد والمنازل الاثرية بمشربياتها وابهائها البديعة التنسيق الرائعة الجمال .

وليس انسان يقرأ هذا الذى بلغت اليه مصر فى عصر المماليك من سؤدد وعلم وحضارة الا يقف ذاهلا : ألم يكن الاثر الباقى فى نفوسنا لما تعلمنا عن تاريخ مصر فى هذه الفترة أنها تعتبر عصرا مظلماً فى تاريخ مصر ؟ فكيف يذر العصر المظلم كل هذه الاثار المضيئة ! قد نفهم القول بأن حكومات مصر فى ذلك الزمن كانت حكومات استبدادية وان الفكرة الديموقراطية كانت معدومة يومئذ ، وانما كان يقوم نظام الطوائف مقامها . لكن هذا لا يعنى شيئاً ولا يخفى ما لتاريخ مصر أثناء عصر المماليك من سناء ساطع . هو لا يعنى شيئاً لان أمم العالم كله كانت يومئذ محكومة على نظام استبدادى تؤيده الطوائف المعزوة رياستها الى مقام الحاكم بما يجعلها ذات مشورة ، ان لم تكن ذات رأى فى تصريف الشؤون العامة . ومادام هذا النظام قد أنبت كل تلك الثمرات اليانعة التى تفخر بها مصر وتضعها فى الغرة من تاريخها ، فذلك الدليل على أنه كان النظام الصالح فى العصر الذى قام فيه . فليس نظام للحكم يحمد لذاته أو يذم لذاته ، ولكنه يحمد أو يذم بقدر مايؤتى من صالح الثمرات أو من سيئها . ويبقى هذا العصر الزاهر فى تاريخ مصر من سنة ١٢٥٠ الى سنة ١٥١٧ .

وكما اكتسح الاسكندر الاكبر العالم فعنت له أممه ثم فتحت مصر له آخر الامر أبوابها ، وكما أتاحت الاقدار ليوليوس قيصر أن يضم بالعالم صنيع الاسكندر من قبل ، مما جعل مصر تذعن لسلطان روما مع مداومتها الثورة عليه ، كذلك اكتسح الاتراك العالم فى القرن الخامس عشر وقضوا على الدولة البزنطية باستيلائهم على القسطنطينية فى سنة ١٤٥٣ وأوغلوا بعد ذلك فى أوربا حتى وصلوا الى أسوار فيينا . وقد [illegible]

ما كان من كل تلك القوة لهم حتى سنة ١٥١٧ حين نزلها السلطان العثمانى سليم بعد حرب تم له فيها النصر على السلطان الغورى فى موقعة بالشام على مقربة من حلب وعلى طومان باى الذى كان قائما مقامه بالقاهرة .

وحكم الاتراك مصر على الطريقة التى حكمتها بها روما . وكان أول ماصنعوا أن أخذوا الخليفة العباسى الى الاستانة حيث جعله السلطان سليم يتنزل عن الخلافة التى أصبحت من يومئذ فى آل عثمان حتى قضى مصطفى كمال عليها فى سنة ١٩٢٣ ، ثم جعلوا يوفدون الى مصر والياً حرصوا على الا تطول مدته بمصر من خشية أن ينظم جيشها ثم يقهر الاتراك به ويعيد الى مصر استقلالها على نحو ماحدث فى عهد البطالسة . وأوقفوا ما كان بمصر من مظاهر الحضارة بأن أخذوا الى عاصمتهم كل رجال العلم والفن والصناعة فى مصر ، ولم يعوضوها شيئاً . وظل الحال على ذلك الى أواخر القرن السابع عشر حين بدأت نذر الانحلال يدب دبيبها الى تركيا . حينذاك بدأ المماليك ، الذين ظلوا طوال مدة ولاية تركيا حكام الاقاليم ، يفكرون فى استعادة السلطة والاستقلال بمصر . وكان هؤلاء المماليك قد أصبحوا ، كما أصبح اليونان والعرب من قبل ، مصريين ، فكانوا يقفون متكاتفين مع شعب مصر فى وجه الوالى الذى تبعثه الاستانة كما كان اسلافهم من قبل يقفون فى وجه الحاكم العسكرى الذى تبعثه روما . وكان هذا الوالى التركى الذى لم يندمج فى مصر ولم يتمثل روحها يظل سجيناً فى قلعة القاهرة لا سلطان له على أحد ولا على شئ فيها . وكان المماليك والشيوخ الذين يمثلون الطبقة المتعلمة اذا رأوه على غير مايريدون ، بعثوا اليه رسولا يطلق عليه اسم الاوده باشى يدخل عليه ويطأطئ الرأس احتراما له ثم يلمس طرف السجادة ويطويها ويقول مناديا للوالى : « انزل ياباشا » ، ويكون هذا أمراً للوالى صادراً له من المصريين لا يستطيع له مقاومة ولا تستطيع تركيا له نقضا ، وبلغ الضعف بالوالى التركى أن كان طوال القرن الثامن عشر والياً بالاسم لاسلطة له ولا عمل أكثر من ارسال الخراج الى تركيا . ودفع هذا الضعف على بك الكبير الى التفكير فى الاستقلال بمصر وتم له من ذلك ما أراد ، وظل ثلاث سنوات تلقب فيها بسلطان مصر وخاقان البحرين ، على أن سوء سياسة الحكم فى تركيا وما كان من تدميرها كل أسباب الحضارة فى مصر أثناء القرن الاول من استبدادها بها ، نضح على هؤلاء المماليك فجعلهم يسيرون مع الشعب أسوأ ما يسير مستبد جائر ، مما شوه اسم أسلافهم المماليك الذين ارتفع اسم مصر فى عهدهم الى مكان من العزة لا ينال .

وجاءت الحملة الفرنسية الى مصر سنة ١٧٩٨ فقاومها المصريون أشد المقاومة حتى انتهت بالجلاء عن البلاد بعد ما نقلت اليها أفكار الثورة الفرنسية وأسباب الحضارة الغربية ، وبعد أن فتحت عيون المصريين على حياة جديدة هى التى يدأبون اليوم لتوطيدها واتخاذها وسيلة لعودة مصر الى مجدها وعزها .

وجاء محمد على باشا واليا من قبل تركيا على [illegible]

مصر فقضى على المماليك ، ثم استمال اليه علماء مصر وأعيانها ووجهاءها، وفكر طوال أيامه في الاستقلال بها . وأعلن ذلك بالفعل وغزا الدولة العثمانية في الشام وفي الاناضول ووصل حتى صار على ثلاث ساعات من الاستانة . وكان يخضع سلطان تركيا لولا أن تحالفت معها عليه دول أوربا جمعاء ، ووقفت في وجهه براً وبحراً، وقضت على الاسطول المصري في معركة نافارين. وهذا الوقوف من جانب الدول الاوربية في وجه الجيوش المصرية الظافرة لم يكن القصد منه المحافظة على تركيا الضعيفة مخافة أن يهدد وجود حاكم قوي في الاستانة التوازن الدولي كما اعتاد المؤرخون أن يقولوا. فلو أن ذلك وحده كان السبب لكان أقل ما تجزي به مصر على انتصاراتها بقيادة محمد علي أن تقوم بنفسها دولة مستقلة غير خاضعة لاحد. لكن الدول أبت على مصر هذا الاستقلال وأصرت على أن تظل ولاية تابعة لتركيا، وان كانت ولاية ممتازة مستقلة استقلالا داخليا كاملا . انما كان السبب الصحيح تخوف أوربا من أن تستعيد مصر قوتها التاريخية المعروفة وأن تضم اليها فلسطين وسوريا كما كانتا منضمتين لها في أكثر حقب التاريخ، وان تتحكم لذلك في حوض البحرين : الابيض والاحمر ، وأن يصبح سلطانها بالفعل خاقان البحرين كما كان علي بك الكبير يدعو نفسه في الفترة القصيرة التي استقل فيها بأمر مصر . ومهما يكن من أثر ذلك في تقوية الحضارة ورفع منار السلام فان الفكرة الاستعمارية كانت قوية يومئذ في نفوس الساسة الاوربيين الى حد جعلهم يضعون أساساً لسياستهم القضاء على قيام دولة في مصر لها هاته القوة والسلطان . وهذا وحده هو السر في إبائهم على مصر أن تستقل بازاء تركيا التي ضعفت كل الضعف عن مقاومة جيوشها والتي كانت معرضة لأن تقع هي وعاصمتها تحت سلطانها .

على أن هذا العسف من جانب أوربا لم يوهن عزيمة مصر ، وقد ظل شعبها طوال القرن التاسع عشر كله متوثباً يريد تحقيق استقلاله على النحو الذي يستشفه القارئ من تراجم من ترجمنا لهم في هذا الكتاب . وهذا هو اليوم قد بلغ من مجهوداته في هذه السبيل مقاماً محموداً . وهو لا ريب سيكون في المستقبل كما كان في الماضي عاملاً من أقوى عوامل العمران والحضارة والسلام .

من سينما الحياة

الحياة المصرية

قبل جيل

للاستاذ ابرهيم عبد القادر المازني

كانت حياة المصريين في المدن منذ جيل أو نحو ذلك، مظاهر اجتماعية ، ما أسرع ما عفت عليها الايام ونسختها المدنية الغربية الزاحفة ، ولم تبق منها الا كإيماءة الخرس ، تشير الى المعنى ولا تفصح عنه . ومن العسير أن يلم الكاتب بجوانب تلك الحياة وأن يثبت صورها كلها، ولكن مما يعين القارئ الذي لم يدركها على تخيلها، أن نذكر له على سبيل التمثيل لا التقصي والاحاطة، أن هذه العمائر الجديدة التي تذهب في الهواء طبقة فوق طبقة لم يكن لها وجود ، ولا كان أحد يفكر في ابتدائها أو يحلم بقيامها أو يحس الحاجة الى انشائها ، وكان الاغلب أن تكون الاسرة كلها في دار واحدة ، وقل أن تكون الدار الا ملكا للاسرة التي تسكنها، فاذا لم يكن هذا هكذا، فان سعي الاسرة أو عائلها يكون الى شراء دار، والعمارة الواحدة من العمائر الحديثة، تسع الآن من الأسر أكثر مما كان يسع الشارع قبل جيل، وكانت روح المصريين هي روح «اولاد البلد» فاذا انتقلت أسرة من بيت الى بيت عدها أهل الحي الذي انتقلت اليه ضيفة عليهم في الليلة الاولى ، وتقدم الجيران الاقربون اليها بالطعام والماء وبذلوا لها كل عون ورفعوا عنها مؤونة التفكير في الاكل والشرب أو الاشتغال بهذه الشؤون ويسروا لها أن تتخلى لترتيب البيت الجديد وفرشه ، وكان الساكن الجديد يعرف ذلك فلم يكن يكلف نفسه أن يطبخ شيئاً. وكان الرجل اذا بنى بيتاً أو تزوج أو زوج ولداً أو بنتاً ، أو كان في بيته ختان أو ولادة، أو مأتم ، يتلقى من جيرته ومن أصحابه وذوي قرباه الهدايا على صور شتى تلائم الظرف ، وليس من الضروري أن يكون المهدي صديقاً للمهدى اليه بل يكفي أن يكون جاراً له أو في «حارة» واحدة معه . وكان التزاور في المواسم والاعياد سنة مرعية ، وكان أهل الحارة أول من يزورون ولو لم تسبق بهم معرفة ، ولم تكن المقاهي بهذه الكثرة ولا المطاعم كما هي الآن في طريق المرء أينما سار، وكان أكثر ما يجتمع الناس ويأكلون ويشربون ويسمرون في أفنية الدور [illegible]

ولم تكن ثم مكاتب للتخديم ، يؤتى منها بالخدم فيقضون أياماً أو أسابيع أو شهوراً ثم يستغنون أو يطردون لسرقة أو خيانة أو عجز أو بلادة أو قلة أدب كما هو الواقع الآن، وانما كان الخدم يربون في البيوت وينشأون في ظل أهلها وتحت عيونهم ورعايتهم، فاذا كبروا ودخلوا مداخل الرجال زوجوهم وأبقوهم في كنفهم.

وكان الزواج حادثاً اجتماعياً ضخماً ، يعنى المصريون بابرازه والاحتفال منه والمفاخرة به، ويتخذ منه رب الاسرة أداة للظهور، وان كان الاسراف فيه كثيراً ما أدى الى الافلاس بعده، ومن هنا تلك « الافراح والليالي الملاح » التي ينكرها ولا يعرفها أبناء هذا الجيل ، وفي هذه « الافراح والليالي الملاح » يتمثل الفرق بين الجيلين ، الحاضر والماضي ، من حيث النظر الى الحياة والغاية منها ، ومهمة الانسان فيها ، فالزواج كان أكبر حادث في حياة الفرد ، وكانت هذه الحياة قوامها إرضاء الغريزتين : حفظ الذات وحفظ النوع ، ففي سبيل الغريزة الاولى — الفردية — كان الرجل يعنى بطعامه وسروره ويجنبه أن يرهق نفسه ويكدها أكثر مما يستوجب الامر، ويتحاشى المتعبات والمنغصات ما استطاع، وكانت حياته لذلك في الأغلب والاعم فرحة تنشد الطرب والسرور وتتقي الهموم أو تغرقها في كأس من الشراب أو ما هو اليه ، أو تتسلى عنها بالسماع والاجتماع والسمر . وما دام أن الحياة الى زوال وكل ريح الى سكون، والعسر الى يسر ، والله يفعل ما يشاء ، والملك له ولا معقب لحكمه ، فما خير أن ينحر المرء نفسه أسفاً ويقتلها غماً ؟؟ ولم يكن للشعب شأن بامور الحكم ، ولم تكن الحكومة تعنى بتعليم الشعب أو تثقيفه واخراجه من ظلمة الجهل ، بل لعلها كانت تملي له في هذا الفتور وتشجعه على هذه الفلسفة ، وترى في ذلك سلامتها وأمنها وراحتها واطمئنانها، ونحن اليوم نؤمن باكثر مما كانت الاجيال التي تقدمت جيلنا تؤمن به، ومن ذا الذي لا يؤمن بأن المرء حر وأن لا سلطان له على المقادير؟ وانا لنعد السرور كما كان أسلافنا يعدون ، ونتوخى ما تقضي به الغريزة الفردية لانا مدفوعون الى ذلك بقوتها لا بارادتنا ، ولكن نظرتنا الى الحياة صارت غير نظرتهم [illegible]

نحيا بأعصابنا أكثر مما نحيا بجلودنا وبطوننا. وما أكثر ما يتمنى الواحد منا لو كانت أعصابه عارية لا يكسوها لحم ولا جلد ليكون احساسنا بوقع الحياة أدق وأسرع واستجابتنا لها أوفى وأتم.

وفي سبيل الغريزة النوعية — حفظ النوع — كان الزواج تلك الحادثة الكبرى في حياة الفرد ، فلا يكاد الواحد يولد ، حتى يذهب أبواه يفكران في الزوجة الصالحة له ، وقد تكون تلك الزوجة المستقبلة وليدة مثله ، وقد يكتب لها أن تعيش وقد يقسم لها الموت الوحي في طفولتها، ولكن الابوين لا يستريحان الا اذا فعلا شيئاً يرضي مطالب هذه الغريزة ، ويشعرهما الطمأنينة ، وكثيراً ما كان الاب يقرأ الفاتحة مع والد آخر ، تمهيداً لتزويج الطفلين بعد أن يشبا ويبلغا مبالغ الحلم ، وقد يكتفيان بالتفاهم، وربما تولت الامان ذلك ، واتفقتا على أن فلاناً لفلانة.

ويكبر الغلام ويشتد ويتجه خاطره الى الزواج بفضل ايحاء والديه أو أمه في الاكثر والاعم، ويقع الاختيار على فتاة قد تكون أو لا تكون هي التي لهج بها الابوان في صدر أيام الفتى، وتقام « الافراح والليالي الملاح » التي أعدت لها العدة من قبل ، وليس من الضروري أن يكون المرء غنياً ، فأن الفقير يسعه في دائرته ما يسع الغني بثروته ، والتعاون سنة كما أبلغنا، والناس آثر للسرور وأطلب له ، والعرس فرصة، ويعلم من أدركوا ذلك الجيل أن صاحب الدار الذي سيكون فيه العرس ، لم يكن له من الامر شيء ، فقد كان الاهل والرفاق والجيران هم الذين يحشدون هذا وذاك ، وكان رب البيت ربما عاد مساء من عمله فوجد الدكك مرصوصة في الحارة أمام بيته والمصابيح معلقة ، والكراسي معدة ، ثم يجيء الاخوان على عادتهم كل ليلة ، فما يليق أن يدعوا صاحبهم وحده ينهض بهذا « المهم » بمفرده ، ويقبل الجيران وأهل الحي ممن يعرفهم أو لا يعرفهم رب الدار ، وتخرج القهوة أو القرفة أو غير ذلك ، ثم تبدأ « الضمة »

« والضمم » هذه ليالي تحييها جماعات من « الهواة » تكون كل جماعة منها «فرقة» قائمة بذاتها مستقلة عما عداها ، ولكل حي فرقة واحدة أو اثنتان أو أكثر ، وهذه الفرق يلجأ بعضها الى إحياء هذه الليلة أو تلك من ليالي « الضمم » التي تسبق ليلة البناء ، ولكن كل واحدة مدعوة لسبب من الاسباب قد لا يرجع الى أكثر من علاقة شخصية بين أحد أفرادها وبين صاحب العرس أو صديق له، لا يمنع أن تتطوع فرق أخرى من أبناء الحي بالحضور والمشاركة في احياء الليلة [illegible]

لمن يخضع الفاشيست في أمريكا

شكوى الولايات المتحدة من ايطاليا

اهتمام مجلس الشيوخ الاميركي

قامت قيامة الصحف الاميركية في الشهر الفائت على حكومة الفاشيست الايطالية واهتم مجلس الشيوخ الاميركي بتلك الحملة ، إذ اتهمت الصحف السنيور موسوليني بأنه يسعى بطرق غير مباشرة الى تثبيت سلطته على الايطاليين القيمين بالولايات المتحدة سواء الذين تجنسوا منهم بالجنسية الاميركية والذين لم تمض عليهم المدة الكافية لمنحهم تلك الجنسية .

ولا يخفى أن في الولايات المتحدة نحو أربعة ملايين من الانفس من أصل ايطالي . والصحف الاميركية تقول: إن السنيور موسوليني ينظر اليهم كأنهم لا يزالون ايطاليين يجب عليهم الخضوع للسلطة الفاشستية، مع انهم قد تجنسوا بالجنسية الاميركية فأصبحوا مدينين بالطاعة والخضوع لحكومة الولايات المتحدة .

وتقول مجلة « الديجيست » الاميركية: إن التهمة الموجهة الى السنيور موسوليني هي خطيرة جداً، وخلاصتها أنه يسعى لتثبيت سلطته على الاربعة الملايين من الاميركيين الذين هم من أصل ايطالي لانه يعتبرهم من رعايا ايطاليا وان يكونوا قد تجنسوا بالجنسية الاميركية . وقد اهتم كل من مجلس الشيوخ الاميركي ووزارة الخارجية الاميركية بهذه التهمة وبما أثارته من السخط في جميع أنحاء البلاد حتى اضطرت الحكومة الايطالية وسفير ايطاليا في وشنطون الى الرد على تلك التهمة.

ونشرت مجلة « هاربر » الاميركية مقالة شديدة اللهجة بعنوان «امبراطورية موسوليني — غزوة الفاشيست للولايات المتحدة » بقلم المستر دفيلد الكاتب السياسي المعروف. فأحدثت هذه المقالة ثورة في الافكار وسخطاً بين الجمهور، حتى قرر مجلس الشيوخ الاميركي أن يطلب من الحكومة تحري الحقائق واصدار بيان بالواقع. ولم تقصر وزارة الخارجية الاميركية عن القيام بما طلبته الحكومة والامة بل قامت بما يجب عليها في مثل هذه الاحوال . وحاولتها وزارة الداخلية أيضاً بتتبع أعمال الفاشيست في أمريكا وطرق المساعي التي يقومون بها، وكانت النتائج التي انتهت اليها تدل على أن موسوليني يرمي الى اقامة نظام سياسي في الولايات المتحدة تبعاً لموجبه مدارس [illegible] للايطاليين المقيمين بأميركا أو [illegible] الاميركية وتعرض عليهم [illegible]

[illegible] الصحف الاميركية أن الاميركيين [illegible] من أصل ايطالي أو المتجنسين بالجنسية [illegible] أصبحوا في حاجة الى حماية من صولة الفاشيست [illegible] لا في ايطاليا ولا في الولايات [illegible] أن نورد هنا أقوال الصحف في هذا [illegible]

الخارجية والداخلية في الولايات المتحدة بالبحث فيها . واليك نصها نقلا عن جريدة «الصن»:—

أولا — أن القناصل الايطاليين في الولايات المتحدة يسعون للتأثير في برنامج المدارس التي يتعلم فيها الاولاد الايطاليون .

ثانياً — ان الحكومة الايطالية تسعى لفرض ضريبة العزوبة على جميع الايطاليين المقيمين بالولايات المتحدة حتى المتجنسين منهم بالجنسية الامريكية .

ثالثاً — ان الجمعيات الفاشيستية في أمريكا تبذل جهدها لمنع الايطاليين المقيمين هنالك والوافدين على البلاد من التجنس بالجنسية الامريكية .

رابعاً — ان الايطاليين المتجنسين بالجنسية الامريكية والمعروفين بنفورهم من سيادة السنيور موسوليني عندما يزورون ايطاليا تؤخذ منهم جوازات سفرهم وأوراق جنسيتهم وتمزق ويرغمون على البقاء في ايطاليا .

خامساً — أن الجمعيات الفاشيستية في الولايات المتحدة تطالب الايطاليين الوافدين على تلك البلاد أو المقيمين بها بأن يقسموا يمين الاخلاص لايطاليا .

هذه هي التهم الخمس الموجهة الى السنيور موسوليني والى الجمعيات الفاشيستية في أمريكا، ويقول المستر دفيلد الذي سبقت الاشارة اليه ان للسنيور موسوليني على ما يظهر غايتين كبيرتين منشأ كلتيهما الاعتبارات العسكرية . فهو : (أولا) يتوقع حرباً مقبلة، فيسعى للاحتفاظ بجيل الامريكيين الذين من أصل ايطالي باستبقائهم خاضعين لسلطته ونفوذه حتى يلبوا دعوته متى نشبت تلك الحرب ويحملوا السلاح تحت لوائه. ويريد (ثانيا) أن يخمد كل صوت يرتفع ضده في الولايات المتحدة حتى لا يبقى هنالك من ينتقد الفاشيستية ، وبهذه الطريقة يتسنى له عقد القرض الذي يتطلع اليه في الولايات المتحدة .

ويقول المستر دفيلد في كلامه على الجمعيات الفاشيستية في الولايات المتحدة: ان عدد هذه الجمعيات يبلغ المائتين والعشرين وجميعها خاضعة لما يسمونه « الاتحاد الفاشيستي لامريكا الشمالية » . وهي منتشرة في جميع أنحاء البلاد. وقد ألفت محاكم خاصة لمحاكمة جميع الايطاليين المقيمين بالولايات المتحدة سواء أكانوا متجنسين بالجنسية الامريكية أم لم يكونوا . وتختلف العقوبات التي تفرضها تلك الجمعيات في شدتها وفي طرق تنفيذها، ومن جملتها مصادرة أملاك المحكوم عليهم سواء أكانت تلك الاملاك في أمريكا أم في ايطاليا ، ومقاطعة المحكوم عليهم وارغامهم على دفع الغرامات [illegible]

هم مضطرون للعودة الى ايطاليا لسبب من الاسباب .

ومع ما لهذه التهم في نظر الامريكيين من الشأن الخطير فهنالك ما هو أشد خطراً وهو فرض واجب الاخلاص «للدوتشي» أي للسنيور موسوليني، على جميع الايطاليين المقيمين بامريكا حتى المتجنسين منهم بالجنسية الاميركية وأولادهم الذين لا يزالون في المدارس والذين يسهل التأثير في عقولهم.

ويقول المستر دفيلد: إن مسألة حقوق الايطاليين المتجنسين بالجنسية الاميركية قد ظهرت بجلاء تام وبلغت أشد درجة الخطر لان فريقاً من هؤلاء عادوا الى مسقط رأسهم لزيارة أهاليهم أو لتصفية أشغالهم، فما كان من السلطات الفاشيستية إلا أن انتزعت منهم جوازات مرورهم وأوراق جنسيتهم وأرغمتهم على البقاء في ايطاليا لقضاء الخدمة العسكرية في الاحتياطي الايطالي.

وكانت أمثال الحوادث قليلة جداً قبل زمن السنيور موسوليني ولم تكن الحكومة الايطالية ترغم الايطاليين العائدين من أميركا والمتجنسين بالجنسية الاميركية على البقاء في ايطاليا إلا في الحالات التي يثبت فيها الفرار من الخدمة العسكرية أو من تنفيذ حكم صادر من محكمة ايطالية. أما الآن فان السلطات الفاشيستية تحجز كل ايطالي يعود من الولايات المتحدة إلا اذا كان حائزاً لثقة الجمعيات الفاشيستية . ويظهر أن السلطات الايطالية تنتهز فرصة عدم وجود معاهدة صريحة بين أميركا وايطاليا بهذا الشأن فتتصرف التصرف الذي يحلو لها. وقد يكون لها شيء من العذر في الحالات التي يثبت فيها الفرار من خدمة الجندية، أما وتعسفها ظاهر في جميع الحالات فليس لها عذر مقبول .

قلنا إن مجلس الشيوخ الاميركي اهتم بهذه التهم اهتماما شديداً، فقرر — بناء على اقتراح المستر هفين من أعضائه — مطالبة وزير الخارجية بأن يرسل الى مجلس الشيوخ كل ما لديه من المعلومات بهذا الشأن ولا سيما ما يتعلق منها بمساعي جمعيات الفاشيست في جميع انحاء الولايات المتحدة .

وبإزاء هذه الحوادث تلقى السنيور دي مارتينو — سفير ايطاليا في الولايات المتحدة — أوامر صريحة من السنيور موسوليني لانكار تلك التهم ولتكذيب القول بأن سلطات الفاشيست تحاول منع الايطاليين الذين يفدون على أميركا من التجنس بالجنسية الاميركية. ومما قاله السنيور موسوليني في هذا الصدد: «ومما يسرنا أن يذهب بعض الايطاليين الى أميركا وأن يتجنسوا بالجنسية الاميركية .. وجدير بجميع مواطنينا الذين يقصدون الى تلك البلاد أن يصبحوا من أبنائها في أقرب فرصة » .

ولم يكتف السنيور موسوليني بهذا التصريح فقط بل صرح للمستر جون جاريت (سفير أميركا في رومة) بأن في استطاعة جميع الايطاليين المتجنسين بالجنسية الاميركية أو الذين لم تمض على اقامتهم بامريكا مدة تكفي لتجنسهم أن يعودوا الى ايطاليا آمنين وأن يقيموا بها مدة لا تزيد على السنة فلا تتعرض لهم الحكومة الايطالية ولا ترغمهم على قضاء الخدمة العسكرية إلا اذا كانوا فارين من الجندية الايطالية ولا يزالون في سن العسكرية .

ولكن الصحف الاميركية لا تزال تشكو من السنيور موسوليني وتقول ان وعده هذا لا يصدق الا على أوقات السلم ، وان الواجب يقضي بعقد معاهدة صريحة لوضع حد لهذه الحالة الشاذة

الكيمياء والتدجيل

إكسير الحياة ، وسحر الشعوذة

شيء عن كبار الدجالين فى التاريخ

تختلف الكيمياء القديمة عن الكيمياء الحديثة بقدر ما يختلف علم التنجيم عن علم الفلك . والكيمياء القديمة — أو السيمياء — ممزوجة بكثير من التدجيل والاحتيال ، حتى لقد كان معظم السيميائيين الذين حفظ التاريخ أسماءهم من كبار المحتالين والمدجلين . وكما نشأت العلوم من مزيج من الأوهام والخرافات ، كذلك نشأت الكيمياء حتى بلغت حالتها الحاضرة . ولعل بين كلمتى « شيمة » و « كيمياء » شيئاً من الصلة . « فشيمة » الرجل طبيعته ، و « كيمياء » المعادن طبيعتها .

واذا رجعنا الى السيمياء أو الكيمياء القديمة وجدنا أنها تقوم على هذا الاعتقاد وهو أن الذى أبدع العالم وما فيه من حى وجماد جعل الكمال هدفه الأسمى . أى أنه قصد أن يتدرج كل ما أبدعه إلى الكمال . فى الامكان بلاغه ذلك الكمال لو أن المرء علم سر الاشياء ونظام تحولها . فالذهب — وهو فى نظر الاقدمين أثمن المعادن وأكملها — هو الغاية التى لا بد أن تنتهى اليها المعادن جميعها عاجلا أو آجلا . والكمال هو الهدف الذى تتجه نحوه الخليقة العاقلة وغير العاقلة .

هذه هى الفكرة الغريبة التى كان علم السيمياء يقوم عليها عند الاقدمين . ومن ثمة اتجهت أفكارهم الى الامرين الآتيين وهما : —

(أولا) اكتشاف دواء ناجع يشفى من جميع الأمراض ويُنيل الانسان الخلود ، وكان الأقدمون يعبرون عن ذلك الدواء باكسير الحياة .

(ثانيا) اكتشاف مادة يمكن بواسطتها تحويل المعادن الدنيئة (وغير الدنيئة أيضا) الى الذهب .

والتاريخ مفعم بمساعى البشر فى هذين السبيلين . ومع ذلك فان أصل علم السيمياء لا يزال مجهولا تحيط به سحب الجهل والشكوك ولكن سواد المؤرخين مجمعون على أن مصر كانت مهد هذا العلم . وكان المصريون يعزونه الى الاله (توت) (ويقابل الاله هرمس فى أساطير اليونان الاقدمين) ويقولون انه هو الذى أوحى به الى البشر . وعلى كل فان هذا العلم نما وتقدم فى مصر حتى بلغ درجة عظيمة من الرقى ، ثم انتشر من مصر الى غيرها من البلدان بفضل الغزوات والفتوحات البكثيرة التى قام بها ملوك مصر . ولما سقطت البلاد فى قبضة الاجانب تعلم هؤلاء السيمياء والسحر والعرافة من المصريين ونشروها فى بلادهم .

ويذهب فريق آخر من المؤرخين الى أن السيمياء ظهرت أولا فى بلاد الصين ، حيث كانت تعتبر علما من العلوم الغامضة المقدسة ، وحيث [illegible] عن السحر والعرافة . وقيل ان أول [illegible] هذا العلم « هوانغ تى » الذى [illegible] ٢٧٠٠ [illegible]

هو من الملوك الذين لم يثبت التاريخ قيامهم فى بلاد الصين . ولكن ثبت ان ملكا من ملوك الصينيين وهو « شن شيه هوانغ » الذى عاش فى سنة ٢٢٠ قبل المسيح وبنى صور الصين كان من كبار علماء السيمياء وأنه حاول نشر هذا العلم وترقيته . وتروى عنه خرافات كثيرة لايزال الصينيون يتناقلونها الى هذا اليوم . ومن جملتها أن الالهة هى التى أوحت الى ذلك الملك بعلم السيمياء ، وعلمته كيفية تحويل المعادن ذهبا وفضة وأوحت اليه أيضاً باكسير الحياة ، فكان يصنعه من أعشاب ونباتات معروفة . وجميع الذين شربوا من ذلك الاكسير تغلبوا على الموت ولا يزالون خالدين حتى هذا اليوم !..

ولا حاجة الى القول ان جميع تلك الاقوال خرافات لاطائل تحتها . فلا « شن شيه هوانغ » كان ساحراً ولا الالهة أوحت اليه باكسير الحياة . ومع ذلك فايمان الناس بالسيمياء وبوجود ذلك الاكسير لايزال قويا حتى هذا اليوم .

وفى التاريخ أن ديوقليطانوس الامبراطور الرومانى الذى عاش فى أواخر المائة الثالثة للميلاد قاوم علماء السيمياء فى الامبراطورية واضطهدهم وأمر باحراق كتاب فى علم السيمياء قيل انه كان الوحيد من نوعه وكان الكهنة يحرصون عليه حرصاً عظيما .

وانتشر علم السيمياء فى الاسكندرية ولا سيما بعد ان وضع ارسطو نظريته المشهورة وهى أن العالم وما فيه مؤلف من « العناصر » الاربعة وهى الماء والهواء والتراب والنار . ونقل العرب هذه النظرية عن اليونان ولشروها فى بلاد الاندلس .

ونأتى الآن الى ذكر بعض الذين اشتهروا فى علم السيمياء منذ العصور المتوسطة الى هذا اليوم ، وفى مقدمتهم ادورد كيلى وهو دجال انجليزى ولد فى ورستر من أعمال انجلترا فى سنة ١٥٥٥ . قيل انه ارتكب بعض أنواع التزوير فحوكم وحكم عليه بصلم أذنيه . ومن جملة أعماله التدجيلية انه ادعى بأن فى وسعه تحويل المعادن الى الذهب . وحاول عالم انجليزى معاصر له أن يفضحه ويثبت دجله ولكن الرجل كان قد نال شهرة عظيمة بين العامة فاضطر ذلك العالم الى التوارى عن الانظار . وقيل انه مات غما وكمدا لفلاح ادورد كيلى وطارت شهرته حتى استدعاه رودلف الثانى امبراطور براغ ، وطلب منه أن يريه شيئا من أعماله السحرية وأن يحول المعادن امامه ذهبا . الا ان كيلى عجز عن ذلك فطرده الامبراطور من براغ كيلى يزيف النقود فى جميع أنحاء أوربا وأخيراً قبض عليه بتهمة التزييف والاحتيال وزج فى سجن قلعة بجبل بجانب براغ فى سنة ١٥٩١ . وقد مات فى السجن أو من سقوطه حاول ان يهرب من نافذة السجن ولكنه سقط [illegible]

وفى سنة ١٧٨٤ اشتهر فى انجلترا دجال آخر يسمى الدكتور « برايس » وادعى بأن فى وسعه أن يحول المعادن ذهباً . وأجرى بعض التجارب المدهشة أمام جمهور من البسطاء فذاع صيته واتصل خبره بالملك جورج الثالث فاستدعاه وطلب منه أن يقوم بشىء من أعماله السحرية أمامه . ولكن أمره افتضح فانتحر ليتخلص من العار الذى لحق به .

واشتهر أيضاً فى العصور المتوسطة روجر باكون وكان مواطنوه يسمونه الطبيب المدهش . وكان يقول ان علم السيمياء هو علم تحويل المعادن كلها ذهباً . قيل ان بعض حساده اغتالوه ليتخلصوا منه .

واشتهر كذلك الدكتور برنارد وكان يعرف « بصانع الألماس » وكان من أهالى سكرمنتو ، وقد ادعى بأن فى وسعه تحويل المعادن الى الألماس . وبينما هو يقوم ببعض تجاربه حصل انفجار فى معمله فقتل .

وهذا الحادث يذكرنا بما وقع لاثنين من ملوك الصين وهما « مونسنغ » و « وونسنغ » اللذين حكما فى القرن التاسع للتاريخ المسيحى . قيل انهما تعلما السحر والسيمياء وكانا يحاولان اكتشاف اكسير الحياة . وفى أثناء قيامهما ببعض التجارب أصيبا بالتسمم وماتا .

واذا أتينا الى العصور الحديثة نجد أن من أشهر الدجالين الذين اشتغلوا بالسحر والسيمياء رجلا ايطاليا يسمى « جوزيبى بلسامو » وقد اشتهر باسم الكونت اليساندرو كوليوسترو . ولد فى بالرمو بجزيرة صقلية واشتهر منذ حداثته بما كان يرتكبه من أعمال التدجيل والاحتيال . ولما أرادت الحكومة القبض عليه هرب الى المانيا متنكراً ثم انتقل منها الى جميع أنحاء أوربا ، وهو لايدخل مدينة الا ويترك فيها آثار دجله واحتياله . واستطاع بطرقه الشيطانية أن يتصل بملك ايطاليا ونابولى وحصل منهما على كتب توصية ثمينة . ثم عاد يتنقل بين أنحاء أوربا يبيع « اكسير الحياة » ومساحيق ومعجونات للزينة ، وارتكب كثيراً من جرائم النصب والاحتيال ، فسجن فى باريس ثم فى لندن ثم فى سجن سان ليو بايطاليا حيث قضى نحبه .

ولعل آخر من اشتهر بالتدجيل رجل من أهالى المانيا يدعى فرانز طوزند ، كان فى الاول يتعيش من بيع الاحطاب ثم ادعى بأنه قد وجد وسيلة لتحويل المعادن ذهبا . وقام ببعض التجارب لاثبات دعواه أمام جماهير من الناس فادهش الذين حضروه . ومن جملة أعماله أنه نهار مرة بمقدار ١٦٩٧ جراما من الرصاص فاستخرج منه عشر جرامات (١٠ جرام) من الذهب . فادهش هذا جميع الذين رأوه وأقبل عليه العلماء ليفحصوا ما ادعاه من العثور على حجر الفلاسفة . وأثبت الفحص الدقيق ان الرجل دجال وانه كان يحشو مسحوق الذهب داخل سجائره . وكان يدعى أيضا انه قد اكتشف اكسير الحياة ولكن هذه الدعوى أيضاً كانت كاذبة .

على أن الكثيرين من العلماء كانوا ولا يزالون يعتقدون أن فى الامكان تحويل المعادن الى الامراض . وليس فى العلم ماينفى امكان تحويل المعادن من نوع الى آخر لاسيما ان أحدث النظريات العلمية تقول ان العناصر كلها نشأت من مصدر واحد أى من الكهارب التى يتألف منها جوهر الهيدروجين .

الدراسة فى المنزل

ان النجاح الذى أحرزه معهد التربية البدنية قد شجع ادارة هذا المعهد على أن تنشىء معهداً للدراسة الثانوية بالمراسلة . الغرض منه مساعدة الطلبة الذين يتقدمون الى نيل الكفاءة والبكالوريا من المنزل . وأيضاً مساعدة طلبة المدارس الذين يرغبون فى التقوية فى مادة معينة أو فى بعض مواد . كما ان المعهد يعطى دروساً لمن يريدون التقدم للحصول على الشهادة الابتدائية .

ان مدارس المراسلة التى انشئت فى مصر حتى الان من هذا النوع لم تأت بالغرض المطلوب منها . وذلك بسبب ضآلة رأس المال الذى انشئت به وسوء الادارة وعدم كفاية المدرسين وعدم العناية وجهل الطرق الصحيحة للتدريس بالبريد وعلى النقيض من ذلك هذا المعهد الجديد . فان دروسه كلها تعطى مكتوبة على الالة الكاتبة وهو لا يدخر وسعا فى الاتقان . ومدرسوه كلهم حاصلون على دبلومات عالية والذى يتولى الادارة الاستاذ فائق الجوهرى وهو المصرى الوحيد الذى تخصص فى أعمال المراسلة على النظم الحديثة .

فى هذا المعهد يجد طالب المنزل الارشاد الصحيح الذى يضمن له النجاح وطالب المدرسة التقوية التى يريدها فى أى مادة بأجر لا يمكن أن يخطر له على بال . أطلب الان كتاب « طريق النجاح » والمطبوعات الاخرى . ولا تغفل ذكر السياسة الاسبوعية وأرسل ٥ مليات طوابع بوستة لتكاليف البريد .

معهد الدراسة الثانوية بالمراسلة
١٦ شارع شيبان شبرا مصر

فى الادب الجاهلى

أصدرت لجنة التأليف والترجمة والنشر كتاب « فى الأدب الجاهلى » تأليف الدكتور طه حسين استاذ آداب اللغة العربية بالجامعة المصرية . وموضوع هذا الكتاب الجديد يتبين من مقدمته وهى : « هذا كتاب السنة الماضية حذف منه فصل وأثبت مكانه فصل وأضيفت اليه فصول وغير عنوانه بعض التغيير . وأنا أرجو أن أكون قد وفقت فى هذه الطبعة الثانية الى حاجة الذين يريدون أن يدرسوا الادب العربى عامة والجاهلى خاصة من مناهج البحث وسبل التحقيق فى الادب وتاريخه ، وهو على كل حال خلاصة ما ألقى على طلاب الجامعة فى السنتين الاولى والثانية من كلية الآداب » .

ويقع الكتاب فى سبعة كتب [illegible] كتاب السنة الماضية بعد حذف [illegible] واضافة ما أضيف اليه من نحو ثلاثة كتب [illegible] بحوث جديدة أضيفت اليه .

ويطلب من المكاتب الشهيرة [illegible] المذكورة [illegible]

كبرياء أنقــــــــرة
وأحلام تركيا الكمالية
لكاتب معروف

تستقبل تركيا الجديدة اليوم دوراً جديداً من التطور يختلف فى مظاهره وغاياته عما قطعته حتى اليوم . فقد انتهى دور التطور الاجتماعى الذى كان أخص ظواهره نزعة الى تقليد الحياة الغربية فى سائر مظاهرها ، واستطاعت تركيا الجمهورية بطائفة من القوانين أن تحقق كثيراً من هذه المظاهر كارتداء الثياب الاوربية ولبس القبعة ، واستبدال القوانين القديمة المدنية منها والدينية بمجموعة من أحدث القوانين الغربية . وانتهى أيضاً دور الانقلاب والتطور فى نظم الحكم ، فالغيت الخلافة والسلطنة ، وكل ما يتعلق بهما من نظم ورسوم ، وقامت حكومة الجمهورية فى انقرة وقام المجلس الوطنى الكبير ومثل هذا التطور القومية والدين . فاما فى ميدان القومية ، فقد قامت الجمهورية بجهود ومحاولات جليلة ترمى الى تقوية عاطفة القومية التركية ، والى اذكاء المشاعر القومية فى جميع نواحى الحياة العامة ، ومحاربة كل العوامل الدخيلة التى تحول دون نمائها . ولكن التغييرات التى أحدثها الكماليون فى الشئون الدينية ذهبت الى حد لا يمكن ان يقال معه انها اجريت لغايات اصلاحية أو قومية ، بل هى بالعكس ترجع الى نزعة والى بواعث مريبة تلمح آثارها واضحة كما اتخذ الكماليون قراراً جديداً فى هذا الميدان ، والمستقبل القريب كفيل بالقاء الضياء على حقيقة هذه البواعث والنيات .

وقد اعتاد العالم اليوم ان يرى تركيا فى ثورتها وفى أثوابها الجدد ، ولم يعد يدهشه شىء بعد من مناظرها ومظاهرها وانقلاباتها الداخلية . ولكن الواقع ان تركيا الجديدة لم تفارق هذا التطور الا لتجوز طوراً آخر وهو طور أقل ظهوراً وضجة لانه لايتعلق بشىء من المظاهر والصور المادية قدر مايتعلق بمظاهر وصور معنوية . فتركيا الكمالية تطمح اليوم الى تأكيد قوميتها وشخصيتها كأمة عظيمة والى رفعها الى مستوى هيبة الدول العظمى ، وهى تعنى فى ذلك بالمظاهر كما تعنى بالكبائر ، فى الوقت الذى ترمى فيه جعل اللغة التركية سائدة فى الحياة العامة واحلالها مكان اللغات الاجنبية حتى فى شرائط السينما ، تحاول فيه الفوز بكرسى دائم فى مجلس عصبة الامم الى جانب الدول العظمى . وبينما هى تعمل على تأييد السلطات والقوانين القومية واخضاع الاجانب فى تركيا لصولتها ، اذا بها تحاول أن تنشىء فى الخارج مركزاً ممتازاً فتطالب بالمساواة ان عصمها الامتيازات الاجنبية ، وفى نفس الوقت تحاول أن تجعل انقرة عاصمة حقيقية لتركيا الجديدة ، [illegible] ومبعث الهيبة السياسية والعلمية ، [illegible] أن ترغم الدول على نقل [illegible] الى انقرة ، وتحرير [illegible]

وليس لمعترض بالطبع ان يعترض على طموح أمة الى المجد وسعيها الى تبوء أرفع مركز تستطيع تبوأه بين جماعة الامم . واذاً فليس لمعترض أن يعترض على ما تجيش به تركيا الكمالية من رغبات وآمال كبيرة فى ذاتها ، ولكن مطامع الدول وآمالها يجب أن تخضع دائما القانون الحقوق العام ، ويجب ألا تخرج فى مداها عن التوازن العام ، ويجب أن تبنى بالاخص على قواعد صحيحة من التراث والاعتبارات القومية ، لا على نزعة ضيقة من الكبرياء الفارغة والاستهتار بحقوق الغير . وللتاريخ حقوقه وعبره ، وللتطورات الدولية أحكامها . وليس المقام الذى تطمح أمة من الامم الى تبوئه امنية حرة مباحة تخضع لقانون القوة وحده ، لان العصر الذى كانت تحقق فيه الامانى القومية بالعنف والفتح قد انقضى . غير انه يلوح لنا ان تركيا الكمالية لا تقدر هذه الاعتبارات قدرها ، وانها تسير فى تلمس امانيها العريضة بنوع من الوهم الذى لا بد أن تبدده الحوادث عاجلا أو آجلا . وهى تستطيع بلا ريب أن تفعل داخل حدودها ما شاءت من ارهاق للاجانب وتوطيد لسيادة اللغة التركية رغم كونها اداة غير صالحة لمقتضيات العصر ، ومطاردة لكل ثقافة اجنبية فى حين أنها مجردة من كل ثقافة خاصة ، وفى وسعها دائما أن تستند على حق السيادة القومية فى تحقيق هذه الغايات وأمثالها . وفى وسعها أيضاً أن ترغم الدول الاجنبية على نقل سفاراتها الى أنقرة ، وهى القرية الكمالية الكبيرة التى لايستطيع أن يقيم فيها صغار الناس والمتوسطون فضلا عن الكبراء والسفراء والتى لايمكن أن تغدو مهما طال الزمن غير قرية آسيوية . ومن المحقق أن الدول التى مازالت تحتفظ بسفاراتها فى الاستانة مثل بريطانيا وفرنسا وايطاليا ستذعن لهذه المحاولة اذا أرادت أن تتصل بحكومة أنقرة بعلاقات منظمة مباشرة ، لان الحكومة التركية سحبت ممثلها من الاستانة . وفى وسع تركيا الكمالية أيضا أن تطارد الإسلام بالتحريم والدعوة ، وان تعمل على محو آثاره ورسومه فى تركيا تحت ستار التجديد والاصلاح ، فان تركيا طوال تاريخها الا شؤما على الاسلام ودولته ونكبة على حضارته الزاهرة ، وعلى جميع الامم التى تدين به .

هذه الغايات وأمثالها من الخواص البارزة فى سياسة تركيا الكمالية ، وهى من شئون تركيا وحدها ، لاتثير اهتمام الشرق أو الغرب ، ولكن الذى يثير الدهشة بحق أن تنزلق تركيا الكمالية الى ميدان الدعاوى الدولية بمثل ماتثيرها فى سياستها الداخلية من كبرياء وغرور ، فهى تريد ان تلتحق بعصبة الامم ، ولكنها تريد أن تنفذ فيها [illegible]

فرنسا أو المانيا . أو بعبارة أخرى : تطمح تركيا الى أن تفوز فى مجلس العصبة بكرسى دائم الى جانب الدول العظمى . وهى أمنية بديعة فى ذاتها ، ولكن صدورها من بلد كتركيا ينم عن كثير من الغرور والطيش والجهل بتقدير الحقائق الدولية . وفى وسع القارىء أن يدرك مدى هذا الغرور متى علم أن اسبانيا ، وهى من حيث مركزها فى أوربا ومن حيث هيبتها ونفوذها فى الشئون الدولية تتفوق على تركيا بمراحل بعيدة ، لم تستطع أن تقنع الدول ولا العصبة بان تحقق ماطالبت من الحصول على كرسى دائم لها فى مجلس العصبة . ولكن تركيا الكمالية ، وهى ذات أهمية دولية محدودة ، وربما كانت أقل فى مركزها الدولى من بلد كاليونان أو لتوانيا ، لا تعتبر بمثل هذه السابقة ، ولا تسيرها كما قدمنا سوى كبرياء فارغة لعلها تثير فى الأوساط الدولية من السخرية أكثر مما تثير من الاحترام .

ومثل آخر يوضح لك هذا الغرور هو أن تركيا الكمالية لا تريد أن تقيم علائقها مع مصر إلا على قاعدة تمتع رعاياها بالامتيازات الاجنبية . ولسنا فى حاجة الى شرح ماتنم عليه مثل هذه الامنية من اغراق فى الادعاء والاستهتار بحقوق الغير ، فقد أصبح هذا الاغراق ، للاسف ، ظاهرة بارزة فى كل أعمال تركيا الكمالية وسياستها الخارجية . ولكن الذى يثير الدهشة بحق أن تذهب تركيا ، وهى ما تزال رغم استقلالها الذى لا يعدو أن يكون مثل استقلال الحبشة أمة متأخرة فى النظم والثقافة والتفكير ، الى أن تطالب مصر وهى دولة أرقى منها فى كل نواحى النظم والحضارة والشئون أن تنزل لها عن شطر من سيادتها القومية لكى تغدو تركيا ذات مركز ممتاز فى مصر كباقى الدول العظمى أيضا ! وتركيا هى التى نكبت مصر والعالم الاسلامى باغلال هذه الامتيازات ! ومصر اليوم فى سبيل اقناع الدول بتعديلها توطئة لالغائها . وحجة أنقرة فى ذلك هى انها تريد أن يتساوى رعاياها فى مصر مع باقى الاجانب . ولقد حملت جريدة « السياسة » على هذه الدعوى السخيفة حملة صادقة ، وبينت مافيها من اغراق وسخف ، وسفهت فى منطق قوى أحلام أنقرة فى هذا الشأن . أما نحن هنا فلا نرى فى هذه الاحلام المريضة غير مظهر آخر من مظاهر هذه الكبرياء السحيقة التى تملك اليوم على حكومة أنقرة الكمالية كل مشاعرها وتفكيرها وتعميها عن تقدير الامور والحقائق بميزان الروية والعقل وتصرفها عن أن تحسب أى حساب لحقوق الغير .

ولا ريب ان تركيا الكمالية تلمس فى الطموح الى مثل هذه الامانى كثيراً وتغرق كثيراً . ولكن لعلها تتعمد هذا الاغراق لمصالح ترى تحقيقها بهذه الوسيلة . لان العالم ، مهما كانت النهضة التى أتيح لتركيا الكمالية ان تجوزها فى الاعوام الاخيرة ، لا ينسى أن لتركيا فى سير الشئون العالمية دوراً لا تكاد تحس به الدول ، وان نفوذ انقرة لا يمكن ان يفيد أو يضر أحداً غير المتعاملين معها بحكم الجوار وهم قلائل . فمهما صالت انقرة وجالت فى قفار بلادها الجدباء ، ومهما طمحت الى منافسة الدول العظمى فى مركزها ونفوذها ، ومهما تطاولت على حقوق بلاد أخرى تحاول الافتيات على سيادتها كمصر ، فانها لا تستطيع أن تغير وجه الحقائق ولا أن تسبغ على اسم تركيا بهاء غير ما هو جدير به ، ولا أن تقنع العالم بان يحل تركيا الكمالية غير ما تخوله إياه أهميتها السياسية والاقتصادية ، وهى أهمية محدودة جداً . وخير لأنقرة أن تذكر دائما أن الالفاظ الجوفاء والدعاوى العريضة كانت دائما قبراً لسياسة السلاطين ، وان مواجهة الحقائق وحسن تقديرها هى القاعدة المثلى فى تفهم الشئون الدولية . أما هذه الكبرياء السياسية التى لاحد لها والتى تثير سخرية العالم المتمدين ، وأما هذا الغرور الذى يطبع كل أعمال انقرة وأقوالها بطابع الاغراق ، فليس مما يدعم هيبة تركيا ، ولا مما يدعم نهضتها وآمالها .

« ع »

الصحافة فى أسبوع

تشكيلة مقطمية !

فى عدد واحد من المقطم الاغر «تشكيلة» من دقة الصنعة وحسن الذوق جديرة ان تكون دروساً يحفظها الناشئون فى الصحافة عن شيوخها الغر الميامين . أما هذه التشكيلة فاليك حساب مفرداتها واحدة فواحدة :

١ — قال المقطم الاغر يوم الثلاثاء الفارط فى صدر العمود الثالث من الصفحة الثانية وبعنوان « نقابة المحامين والمكاتب الفرعية » ما يأتى :

« جاءنا من سكرتارية نقابة المحامين الاهلية بيان خلاصته أن مجلس النقابة كان قرر وجوب إقفال المكاتب الفرعية للمحامين وذلك فى سنة ١٩٢٧ وناظر فى هذا الامر مرة ثانية فى ١٣ نوفبر سنة ١٩١٩ وأصر على قراره الاول »

فأنت ترى أن سنة ١٩٢٧ ، متقدمة عند المقطم فى دورة الزمن على سنة ١٩١٩ ، وما دام المقطم هو الذى يقول هذا فهو صادق حتماً كصدقه فى كل مايقوله ، وليس لاحد أن يعترض بما يعلم من البديهيات فى مثل هذه المسألة ، فان العلم غير محدود ، وفوق كل ذى علم عليم .

٢ — وفى صدر العمود الاول من الصفحة الرابعة من مقطم يوم الثلاثاء نفسه خبر التشريفات الملكية متضمنا أن بين الذين تشرفوا بمقابلة جلالة الملك « حضرة الاستاذ البير فاضل المحامى لدى المحاكم المختلطة » ، ولكنك اذا هبطت قليلا رأيت فى نفس هذا العمود خبرا آخر من عند المقطم يقول فيه « تشرف حضرة الاستاذ الفاضل الافوكاتو البير بك فاضل مدير المجلة القضائية بالمنصورة بمقابلة جلالة الملك صباح أمس الاحد الخ » ، ومؤدى الخبرين واحد ، غير أن خبر المقطم يزيد على بلاغ التشريفات أن الرجل أستاذ فاضل لا استاذ فقط وأنه « بك » لا أفندى ولا خواجه ، وأنه مدير المجلة القضائية بالمنصورة أيضاً ، وأنه « الافوكاتو » بالافرنجى لا « المحامى » بالعربى ، وأن شرف المقابلة حصل « أمس الاحد » برغم أن المقطم يكتب هذا يوم الثلاثاء لا يوم الاثنين ، فهل ترى كان المقطم يريد أن يتضمن بلاغ التشريفات الملكية هذه الزيادات ، فلما لم يتضمنها اشرها فى خبر يتلو البلاغ فى مكان واحد ليكون ذلك تنبيهاً لطيفاً !

٣ — فاذا التفت على يسارك فى تلك الصفحة الرابعة نفسها رأيت فى صدر العمود الخامس هذا العنوان « أول عيد جلوس غبطة الانبا يؤانس » وقرأت ما يرويه المقطم تحت هذا العنوان وهو أن يوم الاثنين الماضى « كان — بنص عبارته — عيد جلوس غبطة البطريرك فأقيم قداس وحفلات تهنئات » ثم يؤدى المقطم فى ختام كلامه فرائض التهنئة فيقول : « ونحن نتقدم لغبطة الحبر الجليل الانبا يؤانس بتهنئتنا الصادقة بعيد جلوسه » .

هذه البلاد غير جلالة الملك ؟ أو هل يعرف أن اسم عيد الجلوس يجوز أن يطلق على ذكرى يوم غير يوم جلوس جلالة الملك يا أخانا !

ماذا كان يضيرك لو سميته عيد انتخاب أو تعيين غبطة البطريرك ؟ ولكنهم يقولون : « والذوق شىء ليس فى الكتب » ! . .

٤ — ويتلو عيد جلوس البطريرك مباشرة خبر عن قنصلية العراق فى القاهرة قال فيه المقطم : ان برلمان العراق وافق على اسناد قنصلية العراق بمصر الى سعادة عبد العزيز بك مظفر مدير النفوس ؟ . . ولست أدرى أفى العراق منصب يسمى صاحبه « مدير النفوس » أم ماذا ؟ ومهما يكن فلا بد أن يكون مدير النفوس هذا زميل عزرائيل او ان تكون له به صلة يقتضيها العمل ، على انى لا أقطع برأى فى مدير النفوس قبل ان أسمع فيه جواب المقطم «مدير الرءوس » ! » .

***

البلاغ سلطة قضائية ؟ .

نشرت جريدة البلاغ الصادرة مساء الثلاثاء الماضى هذه الاضحوكة :

« تلقينا من صاحب الامضاء التلغراف التالى :

اعتدى على محمد حسنى افندى قاضى المجلس الحسبى بالامس اعتداء ظالما ، أرجو التحقيق

اسماعيل داود محامى » .

والتلغراف ومقدمته التى كتبتها البلاغ يدلان على أن حضرة « اسماعيل داود محامى » يتوجه الى البلاغ برجاء التحقيق ، ويظهر أن البلاغ شعرت بشىء من السلطة التى خولها اياها مرسل التلغراف فجعلت له سطراً واحداً مقدمة خالية من أقل دلائل الاحترام « لصاحب الامضاء » . ولست أعرف هل أجابت رجاءه فتولت التحقيق بنفسها أو أنها احالته الى وزارة الحقانية لتوفر على نفسها وجع الرأس !

***

من له ذوق فليسمع

كان من أخبار جريدة الثغر أن أحد أعيان الاقباط رفع قضية أمام المحكمة الشرعية على غبطة البطريرك القبطى الانبا يؤانس يطلب فيها الحكم بعدم اختصاص غبطته بالتدخل فى شؤون الاوقاف الخيرية التى يتولى الآن شؤونها .

وقبل ذلك ذهب شاب مسلم وفتاة راشدة مسيحية سورية الى المحكمة الاسكندرية الشرعية فأعلنا أنهما اتفقا على الزواج وطلبا أن يتم عقد زواجهما فى المحكمة تطبيقا لنظامها الشرعى .

واذا علمنا أن الفرق بين الفتاة السورية المسيحية وبين غبطة البطريرك كالفرق بين رأس الجبل و[illegible] علمنا كم كانت [illegible] الصحف فى حملتها على المحكمة الاسكندرية الشرعية [illegible]

[illegible]

عنده من الاحترام ، وتلك منزلة لا يتطاول اليها المتوافقون من شرد الآفاق . .

***

مسكينة !

مسكينة نقابة الموظفين ! وكيف لا تكون مسكينة وقد أصبحت صحف كالبلاغ وكوكب الشرق ترى أن حرقها واجب وأن أقل جزاء لها أن تدفن كما يدفن الاحياء .

وهذه النقابة اذا كانت هى الرابطة الاجتماعية والادبية بين آلاف مؤلفة من الموظفين المصريين فان عدل هذه الصحف ورحمتها يضيقان بها ويأبيان أن تبقى بين الاحياء حتى لا تبقى بها تلك الرابطة التى لا يعرف إلا الله أى شىء يضايق بعض الناس من وجودها .

لكن هبوا رئيس النقابة أو مجلس ادارتها أخطأ فاختار رواية تمثيلية رأيتم فيها ما لم يعجبكم ، فما ذنب الموظفين جميعاً تهدمون نقابتهم على رءوسهم يا أبطال كل شىء ؟

واليكم مثلا الاستاذ حسين هلال ! فاذا أردتم أن يكون خطأ فرد أو أفراد خطأ الجماعة كلها فقولوا اذاً أن الذنب الذى دمغت محكمة النقض الاستاذ حسين بك هلال بعقوبته هو ذنبه وذنب جميع زملائه الذين أصبحوا مثله نوابا والذين سيصبحون نوابا بعد يومين ؟

ولكن هل يرضيهم أن يخضعوا لما يوجبه اهذا القياس ؟ اذاً فاعترفوا أن البرلمان سيكون جماعة كلها مذنبون ذنب حسين بك هلال ، وكلها يعاقبون بما عوقب به ! وهنيئا لكم بعد ذلك برلمان المذنبين المعاقبين ! . .

من سينما الحياة

(بقية المنشور على صفحة ٦)

يعيدوا ويكرروا ويطربوا النفوس ويشجوا القلوب مرة أخرى .

وآلات هذه « الضمم » أو فرقها ، بسيطة ليس فيها عود ولا قانون ولا كمنجا وهى أدوات « التخت » ، والاغلب أن تقتصر على الطبلة « والرق » وربما زادوا عليهما الزمارة ، مزدوجة أو مفردة ، وقد يجيئون بالربابة ، ويجلس الفتيان على دكتين متقابلتين ، ويقدم لهما الشراب ، ويتفنن فى خدمتهم أهل الدار واخوانهم ، ثم يبدأ الغناء ، بتوشيح ثم ينفرد زعيمهم وأحلاهم صوتا ، ولعله صبى صغير ، بموال يغنيه ويطرب فيه ويرجع ويشدو ويمد الصوت ويقصره ، ويرفعه ويخفضه ، ويفصل بين النغمات بما يشبه التنفس من السكت ولا تنفس هناك ، مع عودات متوالية الى بعض ماسبق ، كل ذلك فى صوت حسن وإرنان شجى وجمع مطرب حتى يحط اللحن فى مستقره ، فتنطلق أصوات السامعين بآه طويلة مديدة من نشوة الغناء .

ويتفق أن تكون هناك فرقة اخرى جاءت متطوعة ومعها شرابها ، فتغار ولا يكاد الموال ينتهى حتى ترفع هى الصوت بالغناء ، منافسة به الفرقة المدعوة ومتحدية لها ، ويتعصب الانصار لكل من الفرقتين ، وينقسم السامر الى معسكرين وتتوتر الاعصاب ويرسلها واحد ضحكة مفرقعة منطوية على السخر ، وتفور الدماء فى العروق ، وتتعالى الاصوات ويكثر اللغط وتشتد الضوضاء ويتقاذف المعسكران بالنكات تعقبها القهقهات ، وتذهب كل فرقة تقاطع الاخرى ، واذا زجاجة تطير وتصيب واحدا فى رأسه أو ظهره ، أو غير ذلك ، فتثب الاجسام الى الارجل ، وتتمزق الكراسى فى الهواء ويحمل الاقوياء الدكك يضربون بها خصومهم ، وتمتد الايدى الى ما تحت الثياب وتخرج العصى المخبوءة فتهوى المصابيح وتطفأ الانوار كلا تمزق أرق شيئا أو تدمر سوى ضوضاء والمشهورات [illegible] والدكك المتساوية على الايدى والعصى [illegible]

[illegible]

ولم يكن الناس يطلبون الزواج للزواج فقط بل للنسل ، وللنسل من الصبيان فى الاكثر ، لان الرجل هو الذى يفتح البيت ويحفظ اسم الاسرة ، فاذا لم يرزقه الله ولداً ، تزوج مرة ثانية وسرح الزوجة العاقر (أو المئناث) أو أبقاها ، ومن هنا فى الاكثر الزواج بغير واحدة .

ولسنا كذلك الآن ، وانا لنطلب الزواج ونريد النسل ، ولكنا لا نجعل ذلك غاية الغايات ، وأقصى ماتتعلق به الرغبات ، وسواء عندنا أن يجىء نسلنا ذكوراً أو إناثا ، ونحن ندرك الآن أن المرء يستطيع أن يخدم النوع بغير النسل ، وأعنى بآثار علمه أو أدبه أو فنه . وللمرأة بيننا مقام قريب من مقام الرجل ويوشك أن يعادله ويساويه ، وليست العلاقة الجنسية بالتى تجعل بالنا اليها ونتحرى مايساعد عليها ، فى طعامنا وشرابنا ، فان العاطفة الجنسية قد تجد مايرضيها فيما دون التعارف الجثمانى ، من حديث ونظر وغير ذلك . وهذا الفرق بيننا وبين أسلافنا فيما يتعلق بالمسائل الجنسية راجع الى الفرق بين مانفهمه من الجمال الآن وما كانوا يفهمون منه ، فان الجمال ليس جسما ولكنه روح وهو ليس شيئاً يوزن بالرطل وانما هو معان وتعبير تدرك وتحس بضمير الفؤاد .

هذه بعض خطوط الصورة أثبتها وان كانت الالوان تنقصها .

ابرهيم عبد القادر المازنى

شذرات

* ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك . قرآن كريم
* استرشدوا العاقل ترشدوا ولا تعصوه فتندموا . حديث شريف
* ليست مع العزاء مصيبة ولا مع الجزع فائدة . ابو بكر الصديق
* أعقل الناس أعذرهم للناس . عمر بن الخطاب
* أنتم الى امام فعال أحوج منكم الى امام قوال . عثمان بن عفان
* الناس أعداء ماجهلوا . الامام على
* [illegible] والمحادثة [illegible] بالشباب [illegible]
* [illegible]

رحلة فى بلاد الاسكيمو

أسواق الاسكيمو

بقلم الرحالة الدانيمركى الشهير راصموصن

اشارت الصحف السوفييتية منذ بضعة شهور الى الحوادث التى وقعت أثناء رحلة المستكشف الدانيماركى الشهير كنود راسموصن فى شمال أمريكا . وقد استمرت هذه الرحلة التى قاسى فيها الرحالة عناء شديداً ثلاث سنوات ونصف سنة .

فقد اجتاز راسموصن الشرق الى الغرب (الاراضى العارية) فى كندا القطبية وفى الاوسكاو فى شواطىء السوفييت فى الشرق الاقصى من سيبيريا . وفى هذه الجهات النائية الخالية التى لم تكلف قبل الآن يوجد ٤٠٠٠٠ من الاسكيمو متفرقين ، أراد راسموصن أن يدرس أخلاقهم وحياتهم المملوءة بالحوادث

وفيما يلى المقال السادس من وصف الرحلة نقلا عن الفرنسية للاستاذ عثمان احمد عثمان أفندى

فى فصل الربيع كانت حرارة الشمس فى منتصف النهار تبلغ درجة كافية لتفكك الجليد حتى أصبح الماء المختلط بالاوحال يغطى كل شىء . ولم نجد بداً من السفر ليلا حيث تسمح درجة البرودة بتكوين طبقة ثلجية يمكن جر الزحافات عليها .

وكان غرضنا هو البحث والوصول الى آل الاميوت — وهى القبائل الضاربة فى وسط البلاد — وقد سموا هكذا تمييزاً لهم عن سكان السواحل — وكنت أعتقد أن البعثة ستجد لديهم أثر عصور لا مثيل لها ، فصممت على دراسة أخلاق هذه القبائل .

وبعد سفر شاق دام عدة شهور وصلنا الى غرضنا . ونحن فى طريقنا أبصرنا ، اذ كنا نجتاز منعطفاً على النهر ، زحافة بها ثلاثة رجال ، فوقفنا فوراً ولكنهم ما كادوا يميزون ملابسنا الدالة على أننا من أهالى جرينلاند حتى أوجعوا كلابهم ضربا ليسرعوا فى الاختفاء منا خلف أول ربوة تقابلهم — ولم نرد أن نتابعهم حتى لا يكون هذا مدعاة لسوء التفاهم الذى قد يجر الى القتال ، لذلك تابعنا سيرنا فى هدوء مجاورين البحيرة .

وبعد مسافة لاقينا رجلا ينظر الينا بانتباه خلال منظار فاوقفنا السير مرة أخرى وأبديت علامة التحية بيدى . فأجاب هو بفتح ذراعيه دلالة على الترحيب ، فعاودنا السير حتى وصلنا الى قرية . وكان يقطن قرية صغيرة جداً ليس فيها سوى ثلاث خيام ، فاقترب منا هذا الوطنى وكان هو الجنهو جارجوك متودداً بلا خوف ، على [illegible] عادة مواطنيه من سكان هذا المركز . [illegible] فيها ابتسامته الودية الصريحة من [illegible] ولما سمعنا نقص حكاية الاشخاص [illegible] هربوا اذ رأونا ضحك فى تسامح [illegible] هؤلاء الطائشين ظنونا من الهنود . [illegible] وقد أخبرنى أنه قبل أن تنشأ المراكز [illegible] فى خليج هوسن فى مركز بادن [illegible] سكان الاسكيمو والهنود قبائل رحالة [illegible] أنها كانت لا تلبث إلا قليلا بينها عداء يرجع [illegible] العصور ، فاعين حوادث دموية تكون [illegible] وكنت قد سمعت من الجنهو جارجوك من [illegible] سكان [illegible] ، وعلمت كيف

حصل على زوجته على أثر حادثة رائعة رائمة حتى بالقياس الى طرق الاسكيمو فى خطبة الزوجة . تلخص فى أن طلبه رفض أولا ، فرأى هو أن يهاجم الدشة التى تقيم فيها محبوبته العزيزة وهناك قتل حماه وحماته وأصهاره وشقيقات زوجه أى سبعة أو ثمانية أشخاص حتى أصبحت من لا غنى له عنها وحيدة . فلم أعجب وأنا أعلم بكل هذا إذ رأيته يقدم لى مكتوبا عليه خاتم الحكومة الكندية ليبرهن به على جدارته بمركزه الجديد . وقد حرر هذا المكتوب لديه أثناء تحقيق حصل فى سنة ١٩٢١ فى حادثة جنائية وقد استهل بما يأتى : « الغرض من هذا اثبات أن حامله ايجنشو جارجوك من سكان بحيرة شكوايجشوك قد أقيم اليوم بمعرفتى أنا الموقع أدناه البرت كيمس قاضى الصلح باسم حضرة صاحب الجلالة فى الاراضى الشمالية الغربية بصفة ضابط بوليس خاص بهذه الاراضى للبحث والقبض على المدعو اوانجاك من اسكيمو بادر ليموث المتهم بقتل اثنين وتقديمه للقضاء »

وقد قرأت هذا المكتوب بكل ما يجب له من مظاهر الجد وناولته إياه ومعه صحيفة قديمة كنت استخدمتها فى حزم بعض الامتعة ، فتناولها باحترام وقد أصبحنا منذ هذه اللحظة صديقين لتبادل الثقة والمودة .

ولم يكن الجنهو جارجوك رجلا مهذاراً . ولو قورن بكل الرجال الذين قابلتهم فى البلاد الواسعة التى تمتد من جرينلاند حتى سيبيريا لظهر انه يفوقهم جميعاً اعتدادا ، فهو ذكى مقدام ذو سلطة لا تنكر على جيرانه جميعا .

وقد أدخلنا فوراً الى أحد خيامه . ونظراً لاعتباره الخاص فقد كانت له زوجتان أكبرهما كفاجارجوك (المظلمة الحمراء) التى من أجلها قتل من ذكرنا قبلا . وهذه كانت قد أخلت عرشها لاخرى أصغر منها وأجمل احتفظ [illegible] وظاهر اننا أدخلنا لدى هذه الاخيرة . ولحسن الحظ كانت الحاجة قد انتهت بحمل عليها الرخاء . وكان أمام الخيمة فى الميدان عدد عظيم من الايايل التى لم يسلخ جلدها بعد ، وكان فصل مهاجرة الايايل قد بدأ .

وأمر الجنهو جارجوك باعداد وليمة فخمة لنا . وكم كانت دهشتى عظيمة لما رأيتهم يضعون على النار اناءين عظيمين من (الزنك) وفى كل منهما ايل كامل .

ولقد كنت أتوقع أن أرى أشخاصا لا زالوا على الفطرة الاولى ، وادركت خطئى منذ وصولى إذ علمت انهم على اتصال وتبادل تجارى مع المراكز التجارية فى خليج هدسن . ولقد رأيت وسمعت لديهم حاكياً ضخما (جراموفون) فى خيمة إيجلشو جارجوك يردد نغمات كاروزو الحماسية . حينئذ قدرت أننا وصلنا متأخرين قرنا كاملا لدى هؤلاء الاسكيمو الذين نريد أن ندرس عاداتهم الاولية التى فطروا عليها ، ولم يكن باقيا لهم من علامات الاسكيمو سوى الخلقة . أما ما عدا ذلك فكان يدعونى للظن أنى نزلت بين الهنود ، فقد كانت خيامهم ثلاثية الشكل — على طريقة الهنود — وهى مصنوعة من جلد الايايل وفيها منافذ للدخان وفى كل منها على يسار الداخل موقد .

تحمل نساؤهن بغير استثناء فوق ثيابهن شيلانا مختلفة الالوان — كالمنديات — وكم كانت دهشتى عظيمة اذ رأيتهن يحملن ساعات فى أعناقهن . غير انهن اقتسمنها بحيث كنت ترى احداهن وقد اختصت بالوعاء . فى حين أن أجزاء الآلة قد وزعت على أفراد العائلة . ولم يبق لهؤلاء الاسكيمو بغير تحوير مما تركه أسلافهم غير اللغة ، فلم أجد أمامى موضعاً للبحث غيرها . وقد لاحظ الاهالى أن لهجتنا التى ترجع الى جرينلاند مفهومة لديهم ، وكان هذا مبعث فرح متبادل لدينا . اذ لم يكن هناك خلاف جوهرى سوى طريقة النطق بالالفاظ .

وأعلن ايجنشو جارجوك — وهو الرجل الذى لا يتأخر عن المداهنة عند اللزوم — انى بحسب علمه أول رجل أبيض أصله من الاسكيمو .

وقد استلزم اعداد الوليمة بعض الوقت وفى أثناء الانتظار أطعمنا كلابنا . وكم كانت دهشة القوم شديدة لما رأوا غذاء الكلاب . ولعلك لا تستطيع أن تتنبأ عن السبب فأخبرك عنه . فلقد أحضرنا ، ويا للعجب ! لحم كلاب البحر ولم يسبق للقوم أن يروا مثل هذا . اذ أن هذا الطعام محرم تحريما قطعيا على شاطىء بحيرة باتكيد .

وتساءلوا فيما بينهم : ما العمل ؟ وأخيرا وجد ايجاشو جارجوك حلا لهذا الاشكال وهو مدين بسعة ذهنه الى رحلاته التجارية التى جعلت له ذهنية خصبة . فأفتى بمنع الشبان من لمس هذا اللحم . وأجاز لنا نحن فقط أن نقطعه لنغذى منه كلابنا ما دمنا لا نستعمل غير أسلحتنا الخاصة . وعرلى هذا الحادث كثيراً — وسألنى شاب يدعى بنجوكا : هل لكلاب البحر قرون كالايايل ؟ فقلت فى نفسى حقاً اننا فى وسط قبيلة جهولة .

وفضلا عن الجراموفون الذى كان يسمعنا فى هذه اللحظة أغنية من أغانى التانجو وفضلا من النيران الهائلة التى كانت مشتعلة تحت أوعية الزنك فان هؤلاء الاشخاص يختلفون تماما عن الاسكيمو الذين عرفناهم والذين يعتبر صيد البحر أساس حياتهم . ومما لا شك فيه أن شيئاً من البغض سبقنى الى هذه الامكنة ولكن أحداً لم يفكر فى درس أخلاق هؤلاء القوم الرحل .

وفى وسط هذه التأملات سمعت صوتا عاليا يقول : استوى اللحم . استوى اللحم .

وأسرع الرجال الى خيمة ايجلشو جارجوك بشهية من مضى عليه زمن فى المجاعة . ونصبت مائدتان هما عبارة عن لوحتين من الخشب وضعتا على الارض مباشرة ومد عليهما أيلان كبيران . ووضع مضيفنا نصيبنا على لوحة خاصة فى معزل لعلمه أن عاداتنا تخالف عادات قومه وقدمه الينا .

وهجم الجميع على الغذاء كالكلاب الجائعة . وحاول كل منهم أن يحصل على أفضل القطع فى أسرع وقت . ولقد حضرت كثيراً من موائد الطعام ولم أشهد فيها ما رأيته فى هذه من فقد التجمل . ولم يكن غير كبار السن يستعمل السكين . وكان الشبان يختطفون اللحم كما كان يفعل أسلافنا من سكان الكهوف . وقدم أيضاً مع الايلين بعض الرؤوس المسلوقة . وقد أهدى لكل فرد من أفراد الرحلة واحدة منها . وسمحوا لنا بأن نأكلها فى خيمتنا الخاصة . لانهم قدروا أن معدتنا لا تستطيع أن تقبل غير ما أدخل اليها قبل ذلك . ولم يشترط أصحاب الدعوة علينا لذلك الا شرطاً واحداً هو أن لا نلقى ما يبقى منا الى امرأة ولا الى كلب .

وحانت ساعة تناول الفاكهة التى لم يستطع أحدنا أن يبتلع منها شيئاً . وقد قال لنا ايجنشو جارجوك : ثقوا أننا لم نتأثر مطلقاً لانكم لم تدركوا طريقتنا فى الاكل فلكل طريقة خاصة . ثم أضاف الى ذلك لاذعا : لقد أكلتم لحم الابل . ومانأكله نحن الآن ليس إلا بويضات تكونت بفضل العصارة الحيوية الموجودة فى الايل .

ووصلت — بعد الظهر — قافلة الى القرية قادمة من جزيرة كبيرة واقعة فى بحيرة ياتكيك ، ولقد كان منظر مدهش لمن تعود أن يرى الاسكيمو فى السواحل يمرون مر السحاب تحملهم كلابهم . وكانت القافلة مكونة من ست زحافات محملة أحمالا ثقيلة وقد ربطت بعضها الى بعض ثلاثا ثلاثا . وكل ثلاث منها يجرها كلبان يساعدهما فى ذلك الرجال والنساء أيضاً .

ولم يكن لأحد أن يجلس على أحد الاحمال سوى امرأة عجوز — تكاد تكون مومياء . تتمتع باحترام الجميع نظراً لما اكتسبته من خبرة وحنكة ودراية . يضاف الى ذلك أنها كانت حماة ايجلشو جارجوك وكان هذا مما يزيدها امتيازاً فى أعين الجميع .

ولم يمض يوم واحد حتى درسنا عادات القوم ذوى الاطوار الغريبة ، وبعد أن أظهروا لنا ثقة تامة وحاولوا جهد استطاعتهم وبكل الطرق أن يدلوا الينا بكل ما طلبناه اليهم من المعلومات .

ولما جاء المساء أردت أن أصل الى الغرض الذى من أجله حضرت اليهم فأظهرت لايجلشو جارجوك الذى اشتهر فى كل أراضى بارن بأنه ساحر ، دهشتى الشديدة فى عزلة آراء مواطنيه نحو الحياة والدين والالمام بشىء من قصصهم ، هنا أظهر الخبث تماماً . وأجابنى بكلمات قصيرة إنه جاهل لا يعلم شيئاً من تاريخ أومه وأن أن من يقول عنه أنه ساحر كذاب .

(البقية على صفحة ١٨)

الخلق بالتطور

مايقوله اربعة وعشرون عالما

« الخلق بالتطور » هو كتاب قيم ظهر حديثاً وإنه لثمرة مجهود أربعة وعشرين بحاثة نصفهم من الانجليز والنصف الآخر من الامريكيين . وإنه لعمل طريف لسهولة قراءته وفهمه على الناس الذين ليس لهم صلة بالعلوم . وإنه لكتاب متين العبارة قوى البرهان . ويقول ناشره أنه نتيجة لرغبة الحصول على حكم أساتذة العلوم فيما يتعلق بنظرية التطور الحديثة ودليل على نظرية الخلق الطبيعية .

وكل واحد من المؤلفين يعطى سلسلة مستقلة تدل على التطور ، وقد اتفق جميعهم على أن الخلق كان نتيجة لعملية انتقال أو تطور وكل يرجع عملية النشوء الى القوانين الطبيعية . فكل إنسان يأنس من نفسه الشك فى حقيقة التطور العضوى يحسن به أن يرجع الى هذا الكتاب .

يقول البروفسور أوزبورن « التطور عملية مستمرة لصفات جديدة وأخلاق جديدة وقوى جديدة وأنواع من الجمال جديدة ليس لها سوابق فى التجربة أو الخلية نفسها » والتطور عملية تبديل طويلة « تظهر فيها أنواع كثيرة من الخلق عصراً بعد عصر وبدون انقطاع »

ويقول السير شارلس شرنجتون : « يظهر أن خلق الانسان نتيجة قوانين محدودة تسرى على عوالم الحيوان والنبات » . ومن أقوى الاشياء فى هذا الكتاب ترتيب الحوادث للتدليل على أن التطور العضوى قائم على البرهان . فكل المخلوقات تقوم دليلا على عملية التطور التى يمكن مشاهدتها فى كل شيء . ونظرية التطور العضوى هى بالاختصار أنه لاشيء تدب فيه الحياة فى هذه الدنيا ولاسلسلة من الاشياء الحية تبقى على هيئتها على تتابع الازمنة سواء أقصرت أم طالت ، وزيادة على ذلك أن كل تغير يقيم نظاماً خاصاً فلا يكون جزافياً أو ابن المصادفة .

ومجمل نظرية التطور مؤيد بالوقائع ، ولا يؤثر فى هذه الفكرة العامة اختلاف العلماء فى أسباب ومنشأ التطور ، وعملية التطور العضوى تنحصر فى شيء واحد وذلك بمقارنة العصور التى مرت على الحيوانات المختلفة من الخلية الاولى حتى آخر فصل وصلت اليه فى تكوينها ، وهنا أكثر من شاهد فى كل حيوان بما فى ذلك الانسان . ففى التنوع الخلوى صلة بالاصل فكل منا يتسلق شجرة أصله ، والحيوانات العليا تمر فى مبدأ تكوينها بأدوار ترجع الى الشرط الاساسى فى تكوين الحيوانات السفلى .

« والانسان نفسه فيه كثير من بقايا العناصر القديمة ، ويصدق هذا على كل الحيوانات العليا فالماضى يسرى ويعيش فى الحاضر » . وإن أجسام الانسان والحيوانات لهى متاحف للآثار الباقية » وإننا نحمل منها كثيراً من الاعضاء المعوية الغريبة القديمة التى لافائدة فيها » فكل مخلوق بشرى يحمل فى جسمه آثار أعضائه الحيوانية ، والخلية البشرية تدل على أن أسلافه كانوا قديما من سكان البحر ثم تطوروا الى حيوانات ذوات أربع وشعر قبل أن يكونوا أناسى » .

وهناك أيضا دليل من الاحجار وحفرياتها . فالحفريات الباقية تدل على الاختلاف بين ما كان عليه النبات والحيوان فى الماضى البعيد وبين ماهى عليه الآن . وهى تدل على أن الانواع قد تغيرت من المبدأ تغيرات مسلسلة تدل على اطراد التحسن من البداية « وكل الحقائق المستكشفة تدل على التسلسل الطبيعى وليس هناك مايدل على الخلق الفجائى » .

فالحجر الجيرى اللين الذى يوجد فى جنوب انكلترا يحتوى على كثير من الحفريات الحيوانية البحرية التى تكون فى الطبقة السفلى ثم تأخذ فى التغير تدريجيا حتى تكون فى الطبقة العليا مختلفة عنها فى الاولى .

ولو أننا التقطنا مجموعة من هذه الحفريات بآلة التصوير من مبدئها الى آخرها وأخرجناها على شريط سينمى لرأينا التطور آخذاً مجراه أمام أعيننا . ودعنا نذكر « أن هذا التغير فى الانواع يستغرق مئات الالوف من السنين فى تغير النوع الواحد الى آخر » .

وإننا قد أغفلنا فى بحثنا هذا التصوير التفصيلى الذى يدل على تتابع الحياة على الارض . فكل الأدلة تتجه فى اتجاه واحد — « نحو تقدم الحياة البطيء المنظم الذى يسير فى الطريق الممهدة فى هذا العالم » وليس هناك مايتعارض مع ذلك على الاطلاق .

وما ينطبق فى التطور على الحيوان ينطبق على النبات أيضاً . ومجمل القول أن النبات أخذ فى التغير التدريجى فانتقل من البساطة الى التركيب وصار على ممر العصور مختلفا فى التكوين والعادة ويكون ذلك فى المجموعات العليا باطراد . وبهذا تتأيد قاعدة التطور العالمية . فلقد نبتت النباتات الاولى فى الماء ولكن بالتدريج انتقل أساس عمليات النبات الى الارض .

والبروفسور بولتن يتكلم عن الفراش — « الفراش ذو الاجنحة قد نشأ بعد زمن طويل من الدودة التى سبقته والتى لايدور بخلدنا أن نجد صلة بينها وبينه . ولكننا لو أردنا أن نعرف أسلاف الفراش القديمة لكان علينا أن نتطلع الى ديدانها فما أعجب مانجد من بدائع التطور ! »

وإنه ولو أن النمل ليس فى صلاحية النحل والزنابير من حيث دراسة نظرية التطور عليه إلا أن البروفسور هويلر يقول إن دراسة عميقة للنمل لتدل على أن عاداته يمكن تبيانها على انها نتائج عملية التطور التدريجى .

ويدرس السير آرثر شيبلى تطور النحلة والخلية وهو يقول باقلام عبارة البروفسور طومسون « النحلة فى نفسها ليست أقل من الانسان لانها تؤدى عملا تتمنى الملائكة أن لو شاهدته » .

وهكذا فى جميع مشاهد الطبيعة استعرض هؤلاء الاربعة وعشرون بحاثة امامنا تطور الفرس والفيل والطائر والقرد والانسان نفسه او أشباهه على الخصوص لل... « فى الاتصال والحلقات المفقودة فى الانسان الحديث »

وجريجورى فى « حلقة الاتصال بين الانسان » فهو يصور « منظراً عميقاً مؤثراً من الخلق فيجعل الانسان أخيراً وارث كل العصور » ذلك الانسان الذى قال عنه شارلس دارون أنه مازال يحمل فى هيكله الجثمانى طابع أصله المنحط

ويعالج جوليان هكسلى على ناحية أخرى من عمليات التطور .

وكل المناقشات التى تدور بين هؤلاء العلماء المختلفين فى هذا الكتاب الممتع تدل على أن التطور العضوى حقيقة ثابتة . والبرهان الحق قائم على أن الدلائل تتجه فى اتجاه واحد وكل منها يؤيد الآخر وليس هذا هو كل شيء ولكن كل نوع من التدليل يلقى شعاعا على الانواع الاخرى . ودلائل التطور أخذت فى الزيادة سنة بعد سنة حتى صارت الآن كتلة متينة تتغلب على كل مايناقضها .

ولنتمم ذلك بنبذتين الاولى من فصل كتبه البروفسور آرثر طومسون :—

« فكرة التطور تمنح العالم الحى وحدة جديدة ، والمخلوقات الحية جميعها هى مجموعة عظيمة أخذت فى التحول من القلة الى الكثرة فكل الحيوانات من دم واحد وهناك نسب بين أجزاء الطبيعة الحية .

وإنها فى الحقيقة صورة فخمة انتزعها صاحب نظرية التطور — صورة تقدم الحياة فى العصور المستمرة الطبيعية من غير إسراع وكذلك من غير فتور .

وقد وجدت من غير شك ممرات مختنقة وشراك منصوبة وعناصر مفقودة وطفيليات وتقهقرات ، ولكن على الاجمال كان شيء يمكن للانسان أن يشبهه بالتقدم . وإذا كانت هذه اللفظة مطروقة فأنى لنا أن نخترع غيرها .

وإن من أكبر أحوال التطور العضوى — حالة عظيمة جداً لايمكن تحققها مطلقاً فى القالب وهى أنه لم تكن زيادة فى التركيب حسب ، بل نمو فى مجموعة العقل فى الحياة ، فالحيوانات قد نمت فيها ذكاء وسلطان على ما يحيط بها وفى شعور لطيف وزجة وحرية ولهذا يمكننا أن نقول إنه الرضا الاعظم » .

والنبذة الثانية من فصل للدكتور ليومان :

« التطور لايعمل فى إخراج الله من العالم أكثر مما تعمل الجاذبية . وكلا هاتين القاعدتين تبيان وتحل للطبيعة — وهما تدلان على الطرق التى استعملتها القوة المسيطرة على العالم » .

ونظرية التطور كما قيل دائما لاتنكر الخلق ولكنها بكل بساطة تدل على طريقة الخلق و « الخلق بالتطور » كما سبق لنا أن قلنا هو سفر يستحق القراءة .

عبد الحليم محمد
اسكندرية

الفيلسوف الجاهل

تأليف الشاعر الفرنسى الساحر « فولتير »

كيف يجب أن نفكر

هل الكتب التى الفت فى هذين الالفى العام ، علمتنى أى شيء ؟ انما نشتهى أحيانا أن نعلم بأى حالة نفكر ، مع انه يندر أن نود أن نعرف كيف نهضم أو كيف نسير . لقد شككت فى عقلى وسألت عن ماهيته . لكن هذا السؤال طالما حيرنى .

ولقد حاولت ان أعرف بواسطة عقلى هذا هل المنابع التى تجعلنى اهضم وتجعلنى أسير نهى هى نفس المنابع التى بها أتصور الافكار ... لكنى لم أتمكن ان أعرف كيف ولماذا تغيب عنى افكارى حينما يخور جسمى من الجوع ، كذلك لم أعرف سبب عودة هذه الافكار الى رأسى بعد أن أكون قد أكلت .. وانما اكتشفت فرقا شاسعاً بين الفكر والتغذية التى بدونها لا استطيع أن أفكر واعتقدت بوجود مادتين فى نفسى واحدة تعقل والثانية تهضم

ولطالما حاولت ان أقنع نفسى بأنى اثنان فى واحد على الرغم من انى واحد فقط من الوجهة المادية .. ولكن هذا التناقض سبب لى آلاما ذهنية كبيرة .

فقد سألت بعض أمثالى ممن يهذبون بنشاط الارض — وهى أمنا العامة — سألتهم أيشعرون فيما بينهم ان كلا منهم عبارة عن اثنين فى واحد . وسألتهم هل توصلوا بفلسفتهم الخاصة الى اكتشاف ان كلا منهم يمتلك فى داخلية نفسه مادة خالدة تتكون من لاشيء . وليس لها حجم ولكنها تعمل فى اعصابهم وتؤثر فيها دون أن تلمسها . وتوجد فيهم بعد حمل أمهم لهم بمدة ٦ أسابيع . ولكنهم جميعاً ظنوا انى أمزح ، فلم يجيبوا على سؤالى وانما تركونى واستمروا فى تهذيبهم الارض

هل من الضرورى أن أعلم ؟

.. ولما أن وجدت ان عدداً كبيراً من الناس ليس لديهم حتى فكرة بسيطة عن الصعاب التى أزعجتنى وأقلقتنى ، ولما أن وجدت أولئك الناس لا يشكون فيما يتعلم الناشئون فى المدارس وانهم لا يعرفون حتى أنهم مادة وروح .. ولما أن وجدت أنهم سخروا منى إذ علموا برغبتى فى معرفة كل شيء .. لما أن وجدتهم كذلك ، بدأت أشك فى أنه ليس على الأقل من الضرورى أن أعرف كل شيء . وقلت ان الطبيعة لابد أن تكون قد أعطت كل كائن نصيباً مناسباً له وظننت أن مالا أستطيع الحصول عليه ، لايخصنى ولكن على الرغم من هذا اليأس ، فانى لم استطع أن انتشل نفسى من رغبتها فى أن أكون متعلماً اذ أن حبى للاطلاع قد نما بدرجة أنه صار لا يمكن اشباعه ..

أرسطوطاليس وديكارت وجاسندى

يبتدىء أرسطوطاليس فلسفته بقوله : إن عدم التصديق هو منبع الحكمة ، وقد نقل ديكارت هذه الفكرة الى أبعد من هذا . وهكذا علمنى الاثنان أن لا أومن بشيء مما يقولان

فديكارت هذا ، بنوع خاص ، بعد أن تظاهر بالشك ، تجده يتكلم بالجزم والاثبات عما ليس يفهمه هو . وتجده متأكداً من الحقيقة فى حين انه مخطىء الى درجة عظيمة فى عالم الطبيعيات ، وهكذا بنى عالماً من الخيال . فان زوبعته والثلاثة العناصر مسألة مضحكة جداً جداً لدرجة أنى أشك فى كل شيء يقوله عن النفس وخاصة بعد أن خدعنى فيما يختص بالجسم .

يعتقد ديكارت ، أو يتظاهر بأنه يعتقد ، أننا نولد بأفكار فلسفية عقلية . وانى أجزم ان هومر قد ولد والالياذة فى رأسه !

الاختراعات المنتظرة

فورد وأديسون يتكهنان

لو جئت الى العالم بعد مائة سنة !

فى التلغرافات الاخيرة ان المستر أديسون شيخ المخترعين الاميركيين قد عثر على نبات يصلح لصنع المطاط (الكاوتشوك) . وهذا الخبر على جانب عظيم من الشأن لاميركا التى تعتمد على المستعمرات البريطانية لاستيراد المطاط الذى هى فى حاجة اليه لصناعة الاوتوموبيلات وغيرها . وقد كان الاميركيون يخشون منذ عدة سنوات اذا وقعت حرب بينهم وبين الانجليز أن ينقطع عنهم وارد المطاط فتشل تجارتهم .

ويعتقد المستر أديسون أن هذه المادة ستعم فى أمور كثيرة وان شوارع المستقبل ستكون مرصوفة بها متى كثرت ورخص ثمنها . وفى الواقع أن بعض مدن سويسرا قد شرعت فى رصف طرقها بهذه المادة ولن تمر بضع سنوات حتى تكون جميع طرقها مرصوفة بها .

ان العقل البشرى لا يستطيع أن يتصور كثرة الاختراعات التى سوف تظهر فى مائة السنة المقبلة . نعم قد سموا هذا العصر عصر الاختراعات والاكتشافات . ولكن ما تم منها منذ الف سنة حتى الآن لن يكون شيئاً فى جانب ما سيتم منها فى خلال مائة السنة المقبلة ، وذلك بشهادة كبار المخترعين والمفكرين . واذا كانت الاختراعات التى قد وفق اليها عقل الانسان حتى الآن مدهشة فان ما سيشهده العالم منها فى القريب العاجل سيحار فيه العقل حتى لقد قال أحد العلماء انه لو نام الانسان مائة سنة واستيقظ وأبصر حوله الاختراعات المدهشة لجن لا محالة لانه لم ينتقل اليها بالتدريج .

والاعتقاد السائد بين العلماء هو ان عصر المستقبل سيكون العصر الآلى أو الميكانيكى ، لان نظام الحياة كله سيكون قائما على الالات فلا يعتمد المرء على أعضاء جسمه بل تقوم الالات الصماء بخدمته وبانجاز كل عمل يحتاج اليه . فيسير محمولا على متن الاوتوموبيل أو الطيارة ويستخدم الكهربائية لقضاء جميع اعماله من بناء وهدم وطبخ وغسيل وتدفئة وتبريد وخياطة وانفصال الى غير ذلك مما لا بد منه فى هذه الحياة .

ويخشى بعض المفكرين أن يكون للعصر الآلى تأثير ردىء فى تفكير الانسان وعقله فيضعف قواه العقلية . ولكن هذا الخوف فى غير محله لان الالات التى ستكون قوام المعيشة فى المستقبل انما هى وليدة تفكير الانسان فلا وجود لها إلا اذا وجدت قوى الانسان العقلية .

وقد جرى لأحد الصحفيين حديث ممتع مع فورد صاحب مصانع الاوتوموبيلات فتناول به الكلام عن الاختراعات التى ينتظر ظهورها فى المستقبل والتى يسعى المفكرون الى تحقيقها . ومما قاله المستر فورد : ان مصانع العالم المختلفة تشتغل ليل نهار ، لا لان بعض الالات ولابتكار غيرها ولا شك أن المستنبطات التى ستظهر فى الخمسين سنة المقبلة ستكون أكثر بكثير من الاختراعات التى قد ظهرت فى الخمسين سنة الماضية .

ترى ما هى أهم الاختراعات المنتظرة ؟

ان الحاجة هى أم الاختراع . فما سيبتكره الانسان فى المستقبل سيتوقف على ما ستشتد حاجته اليه . ومع أننا نعيش اليوم فى راحة وهناء فان المعيشة فى المستقبل ستكون أكمل رخاء لانها ستكون فى العصر الآلى الحقيقى الذى يسميه بعضهم العصر الصناعى .

فسيكون ذلك العصر أقل ضجة وصخباً وأكثر هدوءاً وأوفى جمالا وأقرب الى العدل فى جميع مناحى الحياة وأغنى بكل ما يؤول الى السعادة الحقيقية .

ومن المتعذر أن نحدد اختراعات المستقبل أو أن نبين ماهى ، ولكن لاشك ان فى مقدمتها الطيارات والسفن الجوية . نعم اننا نستخدم اليوم هذه الطيارات والسفن ولكنها فى الحقيقة غير وافية بالغرض الذى هى مصنوعة من أجله ولا تزال تحتاج الى اصلاح كبير . وفى الواقع ان طيارات هذا العصر ستكون كدمى الاولاد بالنسبة الى طيارات المستقبل لا سيما اذا تذكرنا ان الطيارة ليس لها حتى الان محرك خاص بل هى تعتمد على محرك الاوتوموبيل الاعتيادى وهذا نقص كبير .

فالطيارة تستعمل وقود البترول كالاوتوموبيل . وكان يجب أن يكون لها نوع خاص من الوقود أو محرك يختلف عن محرك الاوتوموبيل . ولكن المخترعين لم يوفقوا حتى الآن الى ملافاة هذا النقص . وهم يعلمون ان فن الطيران لا يمكن أن يرتقى مالم يسد هذا النقص

ومع أننا لانعلم كيف ستكون عدد الطيارات فى المستقبل فلا شك أنها ستكون حائزة للمزايا الاتية وهى :—

(أولا) تمكنها من زيادة السرعة أو تقليلها بالسهولة

(ثانياً) متانتها

(ثالثاً) قوة توازنها بحيث تستطيع مقاومة أشد العواصف والرياح التى تهاجمها أو لما كنسها

(رابعاً) تمكنها فى الهواء حسب الرغبة

(خامساً) استعمالها وقوداً خاصاً أو استمدادها القوة من مصدر بعيد بطريقة لا سلكية .

وهنا سأل الصحفى ما عسى أن يكون الوقود الذى يشير اليه ؟ فاجابه المستر فورد أنه لايستطيع أن يعطيه جواباً حاسماً ، ولكن الارجح انه من مصدر نباتى أو من الفواكه المختمرة العفنة . وضرب على ذلك مثلا فقال ان فى كل مادة نباتية كمية من الكحول كامنة فيها يمكن استخراجها منها بطريقة الاختمار . وفى محصول فدان واحد من البطاطس كمية من الكحول تكفى وقود مائة سنة لاستعمال الحاريث والالات الزراعية لحراثة ذلك الفدان وزراعته وجنى محصوله .

والصعوبة التى تعترض المخترعين اليوم هى كيفية استخراج الكحول من الفواكه والمواد النباتية بطريقة تجارية . نعم ان فى الوسع استخراجه بطريقة كيميائية ولكن نفقات هذه الطريقة باهظة جدا لاتجعل ذلك الوقود فى متناول كل امرىء .

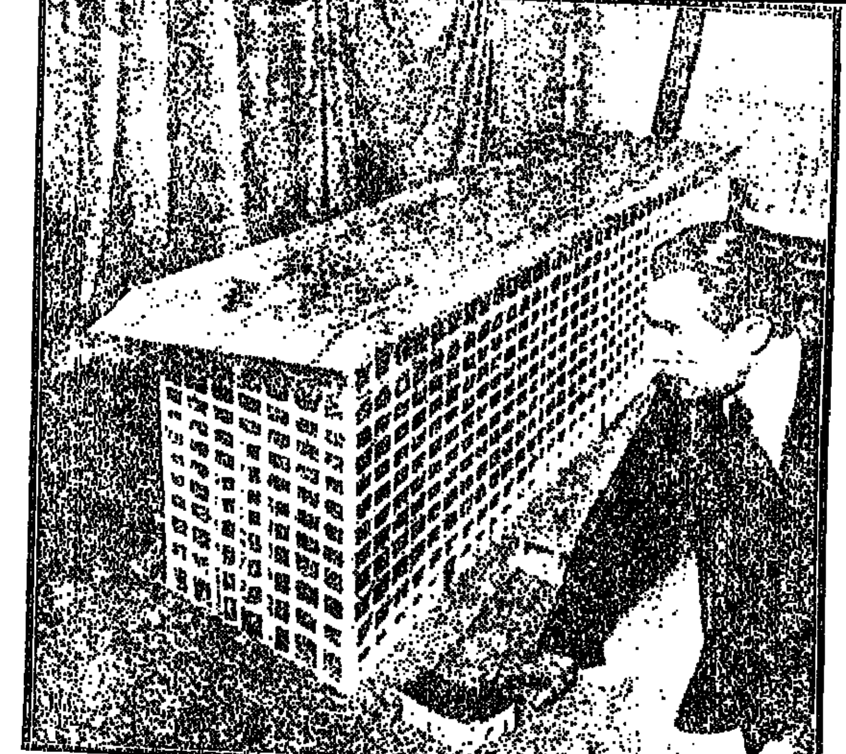
ومن الاختراعات التى ينتظرها العالم أيضاً طريقة تدفئة المدن وتبريدها فى المستقبل بواسطة الكهرباء . وهذا يقتضى تغيير هندسة البناء . ولا شك ان بيوت المستقبل ستبنى على نظام هندسى جديد . ومن المحتمل ان يوفق المخترعون غداً الى ابتكار طريقة يحولون بها الفحم قبل استخراجه من المناجم الى قوة يمكن توزيعها بواسطة انابيب تمد من المناجم الى المدن فى سراديب تحت الارض ثم توزع فى المدن على السكان كما يوزع الماء والنور والغاز . ولا شك ان اختراعا كهذا سيزيد فى رخاء المعيشة فى المستقبل .

ومن الاختراعات المنتظرة أيضاً آلة لتوزيع القوة المحركة عن بعد وبلا واسطة . وبهذه الالة يتسنى تسيير السفن والطيارات والقطرات الحديدية وما أشبه من مستودع عام للقوة ، فلا تحمل الباخرة وقوداً لتسييرها بل تتلقى ماهى فى حاجة اليه من مستودع عام على الشاطىء . وهذا الاختراع يغنى عن جانب كبير من نفقات الوقود التى تتكبدها السفن والطيارات والاوتوموبيلات وما أشبه .

وهنالك اختراعات أخرى كثيرة يترقبها العالم ولا تقع تحت حصر . ويمكننا أن نذكر منها الان ماله علاقة بالشؤون المنزلية كالطبخ والغسيل وتنظيف البيوت وغير ذلك مما يجب ابلاغه درجة الكمال لكفاية المرء مؤونة متاعبه .

ونقف عند هذا الحد من حديث المستر فورد ، وهو كما ترى عبارة عن تلميح بسيط الى ما ينتظره العالم غداً من الاختراعات المدهشة . وفى الواقع أن عقل الانسان لن يقف عند حد من الرقى . والذين سيعيشون فى العالم بعد ألف سنة أو الذين سينظرون الينا كأننا كنا عائشين فى عصر الظلمات والهمجية

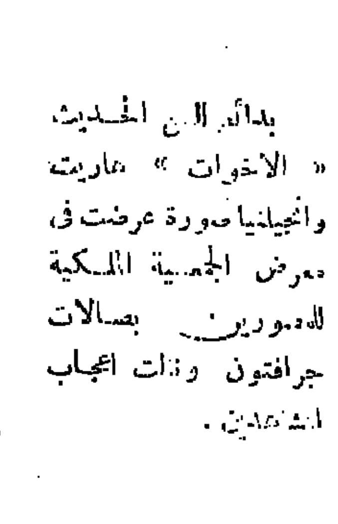




أنموذج لعمارة تتكون من ١٢ طابق ستنشأ في لوس انجليس بأمريكا وسيعد سطحها ميدانا للطيارات وتوضع عليه كل المعدات اللازمة للطيارين . وأما العمارة فتبلغ نفقاتها ١٠٫٥٠٠٫٠٠٠ دولار . وترى صورة مستر انجيليو المهندس صاحب المشروع والى جانبه صورة الانموذج



اخيرا الحيا كل القديمة في جاوه في يخته "ماهاشاكرى" وقد زاره في يخته سلطان سولو ويرى في الصورة في لباسه الرسمي الذي يتكون من جاكتة بيضاء على سراويل فضفاضة ويلاحظ على صدره نياشين كثيرة وميداليات من مختلف الانواع والى جانبه أميرال الاسطول السياحي



بدائع الفن الحديث « الاخوات » ماريته وانجيلانيا صورة عرضت في معرض الجمعية الملكية للمصورين بصالات جرافتون ونالت اعجاب المشاهدين .

جهـــــاز جهاز الغـــــرقى

في الغواصات





فرانسوا برابانت (الى اليسار) سائق سيارة مسيو كليمنسو وهو الذي حفر قبره بالقرب من موشان لافنديه حيث دفن النمر الفرنسي دون أي احتفال تنفيذاً لوصيته .



بحار بريطاني لجهاز ... الغرق في ...

جهاز ... لانقاذ ... الغواصات ... البحارة ... النجاة دون ... والخروج ... الماء وتم ... الآن ... الغواصات ... البريطانية ... بهذه الا... لمخاطر ال...





الجوكونده للفنان الايطالي ليوناردو دافنشي (انظر المقال ص ١٨)



لجنة التحقيق في فلسطين — مستر هاري سنل النائب في مجلس العموم البريطاني والعضو لجنة التحقيق التي بعثتها الحكومة البريطانية لتحقيق الاقلاقل فلسطين الاخيرة ويرى في الصورة يتحدث الى جماعة من اليهود في ... القاضي وادي ... اثناء زيارة ...

مستر رونالد رسل مع تلاميذها الصغار في مدرسة أنشأتها حديثاً لتربية الاطفال وتعليمهم تعليماً طبيعياً محضة



تعليم الطيران باللاسلكي أصبح للاسلكي أهمية عظيمة ، وقد استعمل أخيراً في الطيران ليعاون المبتدي في تعلم هذا الفن حين ركوب الطيارة على الآلات بواسطته لارشادات المدرب التي يلقيها بالميكروفون وهكذا يكون المبتدي على ...

الاحلام وعلاقتها بالماضى والمستقبل

للدكتور ابراهيم ناجى

دعانى الى البحث فى مسألة الاحلام ما لها اليوم من الشأن فى الدلالة على أمور عدة تهم المشتغلين بعلم النفس ، فوق أن تفسيرها علمياً يهدم كثيراً من الاعتقاد « بالروحانيات » و«الهواتف» التى تزور فى النوم و«الطيوف» التى تلم بالحالمين «فتلهمهم» كثيراً من الشئون.

ولا نقول إن العلم قد انتهى من تفسير الاحلام علمياً ، فما زال الجدل قائماً . وبالرغم من أن فرويد وتلامذته قدموا نظريتهم المشهورة فى تعليل الاحلام ، وبالرغم مما بها من الصواب الكثير ، فهى عرضة للنقد من نواح كثيرة . فقد قرأنا قريبا للاستاذ ألدر تفنيداً عجيباً للنظرية فرويد ، وتقديما لرأى جديد يجد الانسان فى نفسه ميلا الى قبوله لبساطته المتناهية ولانطباقه على الواقع . وأخيرا قرأنا لرجل اسمه «دن» كتابا اسمه « تجربة مع الزمن » يكشف أمورا لو صدقت تحدث ضجة فى دوائر العلم كما أحدث اينشتين بنظريته . والغريب أنه ينتهى الى أن الاحلام ليست خلطا من الصور التى لا معنى لها بل يقول إن فيها «ومضات» من الغيب ، ويقول اننا تفكر فى «سلسلة» . تخيل مثلا درجا وتخيل فى اعلاه الى أسفله خمسة شخوص — أو صور : ما هى الا تكرار لشخص واحد . فالشخص الذى تتخيله فى أسفل الدرج هو الذى ينام وهو الذى يموت والشخوص الاخرون يتحركون فى ابعاد من البعد الرابع الى الخامس الى ما لا نهاية . . . وهم أحرار فى الزمن — ففى النوم ينام الشخص الاول ويستيقظ الثانى فيتحرك فى الزمن ويثير الاحلام التى تحوى الماضى والمستقبل معا ! وسنعود الى بحث هذا الرجل العجيب وتجاربه قريبا .

أما فرويد فاراؤه والتبسط فى شرحها يقتضيان وقتا طويلا . ولكننا سنوجز ما استطعنا وسنبين تفنيد إلدر لها وان كان إلدر مبالغا فى قوله ان الاحلام ما هى إلا تخيلات اليقظة واتما فى صورة مشوهة لانها تخيلات عقل نامت اجزاء منه واستيقظت اجزاء ، اذ اننا لا نحلم الا عندما نكون بين اليقظة والنوم . والذين ينامون نوما عميقا لا يحلمون ! أو يحلمون عند ما أخذ النوم فى الزوال . أقول ان إلدر مبالغ اذ يمحو من الاحلام أى معنى .

ماذا يقول فرويد ؟ يقول انه فى عهد الطفولة لا نرى للطفل رغبات مكبوحة ، فهو لا يكتم شيئا فكلما أراد شيئا طلبه أو سارع اليه . فاذا لم ينل رغبته سارع الى «الحلم بها بالنهار» أى انه اذا طلب حصانا فلم يعطه امتطى أى شئ على شكل الحصان . ولكننا كلما تقدمنا فى السن صارت لنا رغبات لا يمكن تحقيقها فنضطر الى كبحها وان لم نكن من رأى فرويد فى أن كل الرغبات المكبوحة تناسلية ، فهذه الرغبات المكبوحة تخزن فى العقل الباطن فاذا نام العقل الواعى استيقظ الآخر وعرض تلك الصور التى نسميها الاحلام . وصورة الحلم فى رأى فرويد مكونة من شيئين ظاهر ومستتر أو رمزى . فالظاهر مكون من وقائع الماضى أو ما شا كلها ، والرمزى هو تلك الرغبات المكبوحة — تلك العقد كما يسميها علماء النفس . ولكن العقل الباطن حريص على صاحبه فهو لا يبدى له الصورة كما هى أى لا يبرز الرغبات المستترة بحقيقتها اذ أن فيها من الصراحة والشدة ما قد يقطع النوم على النائم . مثلا اذا رأى رجلا أمه فى ثوب جميل وكانت الام لا تزال فى نضرتها فأعجب بقوامها واشتهاه فلا سبيل الى ابداء تلك الرغبة بالطبع بل يسارع الانسان الى كبحها ما استطاع . فهل يمكن أن تبدو تلك الرغبة فى الحلم كما هى ؟ ان فى ابراز الرغبة كصورة فى الحلم كما هى لأمر مخجل قد يقوم من أجله النائم فزعا اذ لا يطيقه . فماذا يفعل العقل الباطن ؟ يبرز هاته الصور ممسوخة كالصور الكاريكاتورية ويجتهد ما استطاع فى اخفاء معالمها . وله فى هذا تحايل عجيب . ويقول فرويد ان له فى ذلك طرقا ثلاثا : التحويل والتكاثف والازدواج . أما التحويل فهو أن تبرز الصورة ممتلئة بكل ما لا يهم . ويكون المهم محولا الى حاشية غير واضحة ! والتكاثف أن تتكاثف الصفات فى الامر المهم حتى تتغير معالمه . مثلا عدو لنا يبدو فى صورة شيطان وجندى فى يده سلاح وله فى قدميه مخالب . صورة واحدة تكاثفت معالمها حتى كادت تخفى صورة ذلك العدو الحقيقية . والازدواج هو ان يظهر الامر المهم فى شكلين كأن يرى الزعيم السياسى مثلا نفسه فى صورة أسد ويرى فى البحر أعداءه تعظيم موجة ، فالاسد والموجة رمزان لواحد . والرمز قد يكون فى الشكل وفى المعنى ، فمثلا الصعود أو الامتطاء فى الحلم معناه الاقتراب الجنسى .

فالخلاصة أن فرويد يقول إن الاحلام ما هى إلا الرغبات المكبوحة مضافا اليها وقائع الماضى . فلنسائله : والذين لا يحلمون ؟ أليست لهم رغبات مكبوحة ولا ماض ؟ وما قولك فى الذين يرون الحوادث الآتية بما فيها من أرقام مدهشة فان دن الذى ذكرنا كتابه كان يرى الموقعة قبل حدوثها وأين النصر وكم عدد القتلى والجرحى من الطرفين !!

وأذكر أننى وأنا طالب كنت أحيانا أحلم بالنتيجة برقم ترتيبى فيها قبل أن تنشر وكل هذا لا يفسره فرويد ويفسره دن .

لاشك أن نظرية فرويد قوية فيها كثير من الحقيقة ، فقد كان فى أثناء الحرب يحلل أحلام القواد ويحكم على الجبان منهم والشجاع ، وكان تحليله لا يكذب . جاءت اليه سيدة تشكو من أنها لا تحب قريب زوجها وطلبت منه أن يحللها فعلم من ماضيها أنها يتيمة الام قام على تربيتها أبوها فعشقته عشقاً مبرحا ... هاته هى الحقيقة التى كشفها فرويد بتحليله أحلامها إذ أنها خجلت من التصريح بذلك العشق . عند ما استعرض فرويد أحلامها ليلة بليلة ليصل الى الرغبة المكبوحة التى هى علة العلل قالت له أنها فى ليلة واحدة رأت صورتين : الاولى أنها تمتطى جوادا بلحية بيضاء والثانية رأتها قرب الصباح وهى أنها تصعد برجا مع رجل أشيب حتى أصابهما الاعياء فارتمى كل منهما فى ذراع الآخر ، ففهم فرويد السر فى الحال وعرف أن الحلم الاول معناه أن الفتاة تعشق أباها وأنها تشتهى قربه جنسياً ، وهذا الجواد ذو اللحية البيضاء رمز لابيها . وأما الحلم الثانى فأوضح من الاول لان الرقيب — العقل الباطن — أصابه الكلال من الرمز والتحايل فظهرت صورة الاب على ما هى . والصعود الى البرج رمز للاقتراب الجنسى أيضاً .

أما كون الحلم لا يدل على المستقبل كما يقول فرويد فقد كذبه علماء اليوم بتجارب مدهشة ، فان رجلا كان من عادته أن يحلم أن ساعته وقفت على الرابعة والنصف مثلا فيقوم من نومه ليملأها ويعاود نومه ، وكان هذا الرجل تعاوده أحلام كاشفة كهذه استلفتت نظر بعض العلماء الباحثين ، فخطر له أن تلك الاحلام الكاشفة ربما كانت تحدث كل يوم ولكننا لا ننتبه لها لاننا لا نذكر إلا طرفا من الحلم وهو الذى يبقى فى واعيتنا عند اليقظة . فصار يسجل أحلامه بالدقة ويوما بيوم يراجع تلك الاحلام ببطء فوجد أنه تنكشف له « ومضات » من الغيب بصعوبة لان العقل الواعى عنيد لا يسمح بتلك اللمحات إلا بكل جهد . وخيل لذلك العالم أن امتزاج الحلم ماضيه بمستقبله هو السبب فى خفاء ذلك المستقبل ، فجرب أن يأخذ كتابا ما وبكل ما يستطيع من الارادة ينظر الى عنوان الكتاب بدون فتحه فكان يرى جملا وألفاظا كثيرة مما بداخل الكتاب ! على شرط أن يتمكن من أن لا يفكر فى الماضى بتاتاً .

ننظر الى نقطة أخرى فى مسألة الاحلام . نعرف أناساً كثيرين يعزون نجاحهم الى «وحى» يجيء فى أحلامهم وربما أملى عليهم خططا عجيبة لا تتاح فى اليقظة . مثلا أعرف مهندساً يرى كل خططه مرسومة مجهزة فى النوم فيقوم فى الصباح ليدونها كما رآها . وهو يعزو نجاحه الى هذا ويقول إن « روحا » تلهمه إلهاماً ! كذلك الشعراء الذين ينظمون قصائد بحالها متينة مدهشة فى النوم يعزون هذا الى روح تملى عليهم .

وقد حدثت للاستاذ سادلر حوادث كهذه يحار فى تعليلها ولكنه يصر على أن لا ينسبها الى الارواح . ويعارض السير أولفر لودج كل المعارضة ويعللها بأن العقل الباطن قوى قادر على التفكير والتنظيم واستنباط الاشياء — وهو أقوى من العقل الواعى ، وانتا لو استطعنا حكمه لأتينا بالخوارق ولكننا لا نسيطر عليه مع الاسف .

ومهما يكن من الامر فى الاحلام فهى ما تزال موضوع بحث والميدان متسع أمام المفكرين

الدكتور ابراهيم ناجى بالمنصورة

اسكندر الاكبر

أعظم شخصية حربية فى التاريخ القديم

« .. أنا لا أشرب الماء وجنودى ظامئة »

اسكندر الاكبر

دفعتنى الى دراسة الاسكندر المقدونى وأول شئ رسبت فى ذهنى بعد تفكير طويل .. لم أتأثر بما رواه تاريخه من وقائع غزواته وانتصاراته فحسب ، بل لذ لى بجانب هذا كله تلك الناحية العميقة التى كان ينشدها الاسكندر وتلك الغاية العليا التى كان يعمل لها .. ولا نزال نحن ننشدها وان اختلفت الصورة فى معالمها قليلا .. وذلك الاثر القوى الذى أخلفته حروبه فى آسيا وجنوب أوربا وشمال افريقيا . أو على الاصح مناطق الحضارة الاولى فى الدنيا !

لهذا فكرت تفكيراً فلسفياً حين لمست تاريخه وحين قرأته وحين فرغت منه .. ولهذا فاذن أحاول أن أكشف عن تلك الناحية الغريبة التى كان الاسكندر ينشدها .. والتى ننشدها اليوم من بعده .. فنفشل فى فكرة « الادماج » !

ولكننى أحب ان أسوق لك تاريخه (١) وأدلك على نواحى تفكيرى فى كل مدرجة من تاريخه حتى يسهل عليك لمس الاراء التى ذهبت

كان أبوه « فيليبس المقدونى » قوى الجانب عظيم السطوة .. قائدا .. رفع شأن مقدونيا بعد ذكرها .. وكانت أمه « أولمبياس » زوجة القائد العظيم !

ومنهما .. كان الاسكندر الاكبر الذى ولد عام ٣٥٦ ق . م . ببلدة بلا ، وعنى والده بتربيته على المبادئ الحربية فشغف الاسكندر بها ومال الى خوضها منذ نعومة أظفاره ، ونشأت على طباعه جفاء الجند وصلابتهم ، فعهد أبوه فى أول أمره الى « ليسماكوس » الاستاذ اليونانى ، فدرس عليه إلياذة هوميروس وهو فى الثالثة عشرة أوصى والده الفيلسوف أرسطو بتعليمه .. وبعث له بابنه ليتلقى من أعظم أساتذة العالم دروس الحياة .. فانكب ارسطاطاليس على تعليمه ثلاث سنوات .. علمه فنون السياسة والآداب ، وأذاب فيه من قوة ذهنه الجبار . بعد أن أحبه ذلك المستقبل العظيم المغلف فى أطواء ...

خرج تلميذ أرسطو ، خرج الى ميادين القتال وساحات الوغى

... الاسكندر زمام بنفسه فى خضومات ... ل غضا . فابدى وهو فى الثامنة عشرة من عمره فى موقعة كرونيا شجاعة وحنكة حتى دحر اليونانيين ودانت بلادهم لابيه .

وكان فى العشرين من عمره حين قتل والده . وحين فتح أول صحائف مجده باعتلائه عرش أبيه . فدهمته فتن بعض القبائل فى أول أمره وثارت عليه جموعها احتقارا لصغر سنه وسعياً للتخلص من حكم مقدونيا ، فما لبث حتى أخمد ثائرها ، ونكل بالعصاة تنكيلا هائلا . وقتل أحد أخوته من بينهم .

وسار بعد ذلك بجيش له ليخمد بعض ثورات اندلع لهيبها فى شمال مكدونيا فعبر نهر الطونة العظيم بدون جسر . وانتهز بعض الطامعين فى تخليص اليونان من نيره فترة غيبته فأشاعوا خبر موته . فما لبث الاسكندر حتى انهار عليهم من شمال مكدونيا فأخمد الثورة فى مواطنها حتى تربع على ربوع اليونان كلها !

وسمت نفس الاسكندر الى ذلك الحلم البهيج الذى غرس ارسطو مبادئه فى نفسه والذى أدعمه حبه للحرب وشغفه الى النزال والصراع . فأعد جيشاً عظيما لغزو آسيا !

وفى ربيع عام ٣٣٤ سارت جيوش الاسكندر الحاشدة من رجال مقدونيا الاشداء الى الفوز !

سار الاسكندر وفى نفسه هذا الحلم الذهبى الخلاب ! ذلك الحلم الذى ملك عليه مشاعره ! أن يضحى سيد الدنيا ! وجاشت فى نفسه تلك الغاية العميقة التى اعتملت فى نفسه بأن يمزج دماء الفارسى واليونانى والافغانى والمصرى لتوجد الانسان العالمى ! فما وصل رواده حتى أحيا فيها أعياد أبطالها القدماء وتغنى بمجدهم القديم . وأقام الافراح لذكراها حتى خفقت له القلوب ! ثم اجتاح مدن آسيا الصغرى بعد ان هزم الفرس . وما لبث حتى دارت بينه وبين ملك فارس موقعة من أهول مواقع التاريخ وأدماها . ظهر فيها نبوغ الاسكندر وحنكته ودرايته بأصول السياسة الحربية النادرة . وذلك أن داريوس ملك الفرس الذى خرج اليه فى نصف مليون مقاتل والتقى مع الاسكندر عند أسوس ودارت رحى حرب رائعة اندحر الفرس بعدها وسحقت جيوشهم . فسار الاسكندر بعد ذلك الى سوريا فدانت له وكذلك فينقيا واخضع مدينة صور التى قاومته فنكل بأهلها !

وزحفت جيوش الاسكندر الى مصر الوادعة . بعد ان أذل فلسطين وبعد ان ذبح أكثر سكان غزة التى قاومته والتى استبسل قائدها فى الذود عنها . فلما فتحها أمر أن يقاد له ذلك القائد المستبسل فأتوا به موثقا فثقب رجليه وشده فى مركبته ثم جلس عليها واندفع بها وسط طرق غزة تنكيلا بأهلها .

ووصل الى مصر بعد أن خضعت له تلك البلاد وبعد أن زار أورشليم فدان له وادى النيل دون مقاومة . وكان الاسكندر عنيداً . اذا قاومته أمة لقيت جزاء الدفاع عن حياضها القتل والسلب ونهش الاعراض والتنكيل . فلما وصل الى مصر ودانت له راضية ، عامل أهلها معاملة حسنة واعتنى بشؤونها وتجارتها ولم يتعرض لمذاهبها الدينية أو عادات المصريين . ثم سار الى معبد آمون فى صحراء ليبيا فى عام ٣٣١ فلقى من كهنته الترحيب . وادعى أنه من نسل الاله فلقبه كاهنها بابن آمون .

فكر الاسكندر فى أثناء وجوده فى مصر فى انشاء مدينة تكون كحلقة اتصال بين الشرق والغرب فى تجارتها وثقافتها واستعان فى اختيار موضعها بطائفة من الخبراء حتى تم له الرأى على اختيار قرية بجوار بحيرة مريوط على حافة البحر الابيض المتوسط تسمى « راقوده » لانشاء مدينة الاسكندرية عليها .

فى هذه البقعة أنشأ الاسكندر الاكبر مدينة الاسكندرية بعد أن رسم تصميمها بنفسه .

وترك الاسكندر وادى النيل ليتم فتوحه فى آسيا بعد ان ولى على مصر من قبله أحد قواده . وكان الفرس قد أعدوا لقتاله جيشاً هائلا لا حصر له . ربما عن المليون خرج فيه أمراء الفرس وكبارها وقوادها ليبذلوا شكيمة الاسكندر . وليغسلوا عار الهزائم السابقة !

وكان الاسكندر على رأس جيش يربو على الاربعين الف مقاتل ، أمام جيش جم ذخائر الفرس بأكملها يقوده ملكها دارا . والتقيا عند الخليج الفارسى . فأظهر الاسكندر خبرة دقيقة بأصول الحرب مما نجاه من الوقوع فى عدة حبائل نصبت له . وانجلت الحرب بينهما بعد صراع شديد على انهزام الفرس هزيمة منكرة سقط فيها ٣٠٠ الف فارسى و ١٥٠٠ مقاتل من رجال الاسكندر ! فدانت له فارس العريقة كلها !

وأثر هذا النصر فى الاسكندر ففرح له وأنعم على قواده بالمنح والعطايا والهدايا ، وأخذ يذل القبائل الثائرة وينكل رجالها ونسائها حتى استكانت كلها تحت قدميه ! وأخذ يتتبع الملك دارا . وذلك يهرب من وجهه حتى سقط قتيلا بسهم من أحد جنود الاسكندر .

ومع هذا كله ، فقد كان الاسكندر يعمل دائما فى البلاد التى يغزوها على ايجاد نظم العدل فيها واعلان الامن بها حتى يمكنه أن يحكمها فى ظل هادئ وحتى يتفرغ أيضا لاخضاع غيرها .

وأكاد ألمح شيئاً جديداً فى أخلاق الاسكندر بعد انتصاره الاكبر وهزيمة الفرس ، تغيراً خلقياً أصاب الاسكندر فلم يزل ملازمه متطوراً مستفحلا حتى أماته . فقد عمد الاسكندر بعد ذلك الى قتل الكثير من قواده العظام لشبهات ضعيفة قامت حول التمسك منهم فى نزوات سكره . ثم ما لبث حتى تزوج فى عام ٣٢٧ ق . م بالاميرة روكسانا ابنة دارا ملك الفرس وأقام ليلة عرسه حفلا لم يشهد التاريخ القديم له مثيلا .

ومما يشهد بعض المؤرخين الى الاسكندر هذه الفكرة الفلسفية وهى تأليف النسل المختلط .. ويقولون إنه كان يدفع جنوده اليها .. وهذا طبعى . . بل أكاد أومن أن الاسكندر انما كان يرى هذا الاختلاط وسيلة لبقاء امبراطوريته ... ولكننى اسلفت أن الاسكندر كان قد بدأ فى التغير من الناحية الاخلاقية بعد انتصاره الاخير على الفرس .. وأكاد أعتقد بهذا الرأى بعد أن اطلعت على أدوار حياته اطلاعا قويا .. فلقد عمد الاسكندر الى أشياء «غريبة» بعد هذا الانتصار فعمد أولا الى قتل قواده القدماء .. ثم إباحة الزواج ثم أمر أن يعبد !! فأطاعه البعض وأبى آخرون فنكل بهم وعذبهم . وبلغ به الفجور والمجون مبلغاً هائلا .. ونهك نفسه فى اللذات وغالى فى الاغراق فيها ..

وأخذ يطوف انحاء آسيا حتى دوخ قبائلها وأذل أهلها ، فلما دخل بابل دخلها متشائماً — فى عام ٣٢٤ ق . م

استمر عدة أيام وهو يواصل السعى فى تنظيم مرافق الحياة فيها وترتيب أمور الرى فى وادى الدجلة .. ولكن الاسكندر الى جانب هذا لم ينس ملذاته السفلى ولا الاستغراق فيها .. فداوم على السكر واشباع شهواته طيلة تلك الايام حتى قيل إنه شرب مرة ما يقتل عشرة رجال .. فدهمه المرض واشتد عليه حتى أذله ! وإذ كان قد أبدى ضروب الشجاعة والاستخفاف به ولكنه لما أحس بدنو أجله أوصى قواده بأن يلتظموا من بعده ولا يضيعوا عار حروبه الطويلة .. وأوصى بأن ينقل جثمانه الى معابد سيوه ثم أعطى أحد قواده « برديكاس » خاتما له وان كان لم يوص بخلف له .

وقتلت اللذات والشهوات والاستهتار الاسكندر الاكبر الفاتح العظيم وتلميذ أرسطو !! ذلك الرجل الذى افسدته اللذات ... وما لبثت حتى قتلته فى ٢٨ يونيو «أو ١٣ يوليو ؟؟» من عام ٣٢٤ ق . م (١)

وما لبث قواده بعد موته حتى اختلفوا على تركته فقسموها بينهم !

أما جثمانه .. فقد حنط ووضع فى تابوت من الذهب المرصع بالاحجار الكريمة وأمر بطليموس ملك مصر أن يبقى تابوته فى منفيس .. ثم ما لبثت حتى نقلت فى تابوت زجاجى الى الاسكندرية .. أما مكان قبره فقد أغفل وأهمل بعد ذلك ونسيت معالمه وان كان البعض يظن الآن انها تحت قبة النبى دانيال بالاسكندرية .. أو فى نواحى المدينة القديمة ..

ولم يخلف الاسكندر بعد موته آثاراً باقية الى اليوم الا قليلا .. أو على الادق لم نعرف منها الا هذا القليل .. وإن كان قد شيد مدينة الاسكندرية فحملت اسمه من بعده الى هذا اليوم !

ومن آثاره فى متحف اللوفر بعض « مسكوكات » تدل على مقدار الاستعداد فى فن الحفر ، وكذلك بعض آلات حربية أخرى متفرقة فى متاحف العالم .

وتدلنا بعض المصادر التاريخية على أن

المآثر التاريخية هى :

(1) Itiotery of Greece by ...
(2) the second of the Histo...
(3) Ghilip and Alexander by D. G. Hogarth
(4) Herois of nations series
(5) Lectures on ancient ... Niebrihe

(١) بعض المراجع تختلف فى سنة موته وتحديدها . ولكن المتفق عليه أن سنه حين [illegible] السادسة والثلاثين أو أقل من ذلك

(البقية على صفحة ٢٧)

بحث في فلسفي

علوم وفنون

عند ما التحقت بأكاديمية روما ، وكان من الطبيعي أن أحضر المواد العلمية التي تعطى بجانب مواد التخصص الفنية اليدوية ، تساءلت ألم يكن من الافضل صرف هذا الوقت في التمرن على الرسم أو النحت ، كل على حسب اختصاصه ؟

وما شأن الرسام أو غيره بما يسمونه التشريح العامي ؟ هل تزيد حاجتنا على أكثر من معرفة تكوين الجسم وموضع العظام والعضل منه ؟ .

ولقد ازددت دهشة عند ما سمعت معلم التاريخ وهو آخذ في الكلام عن حياة أحد فناني ايطاليا ، وكنت معجباً به جداً عندما وقع نظري على مشغولاته الفنية ، يقول عنه : ان فنه يقرب من الصناعة وإن مشغولاته يخيم عليها الجمود فتظهر عديمة المعنى . . ولماذا ؟ .

أليس في هذا التمثال عضلات بارزة ، وهذا مايعني القوة ، أولا ترى معي في هذه الصورة فتاة تبتسم ؟ ألم تر أن شفتاها تنفرج عن أسنانها وهي لهذا تبدو ضاحكة ؟!!! .

إذن فكل مايقولونه في محاضراتهم تبرير لما يتقاضونه من المرتبات ، يخدعون أنفسهم ويظنون أن قولهم الحق .

بهذا كنت أحدث نفسي ، ولكن لكل شيء بعد يتلوه عندها البصر وربما ينقلب الظن الى عقيدة ، خصوصاً اذا كان في ميسور المرء أن يولي وجهه الشطر الذي يروقه ، لكن هذا ما أستحال علي لأني بحكم انتسابي للجامعة كنت مضطراً لمواصلة دراستي .

فكرت ملياً فيما يجب أن أعمله وما أختطه من الطرق ، فكانت الفكرة الاولى أن أنسخ محاضراتهم وأذاكرها ولو كارهاً ، حتى اذا جاء موعد الامتحان ، قلت قولهم ، فأعجبهم تصديقي على كلامهم فأحسنوا مثواي .

لكن قلت في الوقت نفسه : وما الفرق بيني وبين الببغاء الذي يقول مالا يفقهه ، وهذا ماسيكون من جانبي ، وسيكون ما هو أكثر من ذلك ، فسأقدم رأياً غير الذي أعتقده كأنه مني وأشعر بأن سماعه ثقيل وذكره لا بد أثقل ، وهذا كله من أجل درجة طيبة .

اذن فلنطرق باباً آخر ، ولقد خطر لي أن أكتب لأستاذ التاريخ راجياً أن يضرب موعداً أيا وحسب ما يشاء ولم أزد في بسط السبب عن أني أريد الوقوف على شيء ربما يكون طلبه أثناء الدرس مضيعة للوقت نظراً لأنه شخصي ويتعلق بي فقط .

فبعث رده يقرن اليوم والساعة على أن يكون اللقاء في داره . قلت : هذا جميل ، فلأستعدن لهذه المناقشة كما يجب ، وقت لساعتي في تنسيق آرائي ووضعها في قالب لغوي مرضي وانتقيت فتوغرافيات مختلفة للصور وتماثيل هي في نظري كل ما أطمح في الوصول اليه .

[illegible] دقائق في حجرة الانتظار ، حتى كان الاستاذ يبادرني بالتحية . وبعد تناول القهوة قال : ها أنذا مستمع لك فتكلم عن مسألتك . وعلك بعد ذلك تحدثني بأخبار المكتشفات الفرعونية الاخيرة التي أشارت عنها مجلاتنا اجمالا لا بالتفصيل .

قلت آسف يا أستاذ فالذي تعلمه عنها اكثر مما أعرفه أنا ، ومسألتي هي استجلاء بعض نقط في محاضراتك الاسبوعية أجهدت النفس في فهمها ولم أنجح ، لقد ذكرت لنا ضمن أقوالك أن المتاحف ودور الاغنياء من محبي الفنون ملأى بالصور والتماثيل وان تاريخ الفن حافل بالآلاف من المشتغلين به

لكن أراك تقف بالقليلين منهم ، وتذكر أن هناك رسما « تقليديا » وآخر « تمثيلي » وتقول في الاول كلمة اعجابك من حيث المقدرة العملية وتتحول إلى الآخر بأشياء لا أفهمها . غير أني أذكر أنك قلت ذات مرة في مثل الثاني أن يحوى ما هو أهم من الدراسة التخطيطية التي يصل اليها الكثيرون بطول ممارستهم للفن — وتقول ان هنالك نحتا نفسانيا وان اللوحة تنطق والتمثال يتكلم ، وان هذا أو ذاك متأثر بالحادث الذي أراد الفنان أن يمثله ، الى غير ذلك

ثم أطلعته على فتوغرافيات كنت وفقت للاهتداء اليها لأعز بها رأيي ، ومنها فتوغرافية تمثال « دمسي » في عضلاته البارزة الفتانة وأخرى للوحة تمثل رجلا افرنكيا يصطحب زوجته في لباس يوم الاحد يدل مظهرها على وجاهة وثراء ، وأخرى وأخرى من هذا القبيل

وبعد أن تمعن في كل منها بشيء من السخرية قام من مكانه متجهاً حيث مكتبته ، وبعد دقائق قليلة قضاها في بحث عاد ومعه محفظة كبيرة فتحها واستخرج منها ورقة ثم نظر الي وقال

أراك شابا ماديا عمليا فلتكن مناقشتنا مادية حتى يمكننا أن نوفق بين آرائنا . هذه صورة للفنان رمبراند تمثل رجلا « حربيا » قال ذلك مشيراً نحو تلك الورقة

قلت أرى ذلك

قال تعال بجانبي وتأمله فانحرفت من مكاني ووقفت بجانبه [illegible] الشيء ونظرت [illegible] الى أن حولت نظري اليه [illegible] الصورة [illegible] انتهيت [illegible] عليه [illegible] نفسي ما الذي [illegible] الوقت [illegible] يداخل نفسي حتى [illegible] الصورة ولم أدر إلا والاستاذ [illegible] فتذكرت مناقشتنا وأجبت [illegible] وماذا تمثل ؟ قلت رجل البطش ، قال ألم تلاحظ في ملامحه [illegible]

لا . قال إذاً لم حكمت عليه بأنه رجل البطش ؟ قلت لا أدرى وأظن أن هذا ما جئت من أجله

قال ان فوق دراسة الفن التقليدي أو بمعنى آخر دراسة التخطيطات التي تحدد الكائنات في أجسامها ، وتقاطيع الوجوه نوعا آخر أجل من ذلك شأنا لا يعبر عنه بخطوط وهذا مايسمونه الدراسة النفسانية

انها الحياة التي تسرى في مختلف الاجسام فتعطى لكل منها لونا وتترك على سطح كل منها أثراً وهي تختلف في كل امرئ كما تختلف الملامح التخطيطية ، لكن الفرق أن هذا يرى وذاك يحس ، ولا يشعر بالاخير إلا أصحاب القلوب الحساسة ترى من حيث لا يرى الآخرون وتميز من حيث لا يعرف الجاهلون .

قلت وقد ملأني الارتياح : لقد أوشكت أن أفهم لكن أليس الأحسن أن ننصرف إلى دراسة النفسية ونطرح الدراسة التخطيطية ؟

قال — لا تتهور . إذا تتبعت الكيفية التي تخلق بواسطتها سهل عليك فهم المسألة — الجنين في بطن أمه لا يتنفس أو بمعنى آخر لا يحيا الا إذا خرج الى النور وان صرخته الاولى التي تسمعها ليست الا أول زفير يعمله بعد أن تمتلئ رئتاه بالهواء لأول مرة فترى من ذلك كيف أن الشخص يكون تكوينا كاملا قبل أن يحيا . وكذلك يجب أن تكون الملامح رسماً أو نحتاً ثم يبحث عن ذلك الاثر الذي تتركه الروح على الظاهر فنودعه في مشغولاتنا الفنية وبهذه الكيفية تحيا أشغالنا .

ولكي تعرف أثر النفس على الظاهر ، ألفت نظرك إلى أن الاطفال يتشابهون في سلتهم الاولى الى حد محسوس من حيث التقاطيع — حتى اذا ما تقدموا الى الثانية والثالثة أمكنك أن تعين لكل منهم ملامح مستقلة وللنفس في هذا التطور أثر . إن للشرير في طفولته سذاجة كالتي عند غيره من الاطفال ولكن النفس ترسل أشعتها على عينيه فتظهرها شرسة وتزيد هذه الشراسة كلما نمت نفسه الشريرة . إذاً فالنفس تكسب كل وجه مسحة قائمة على حسب ماهيتها .

قلت وما هي الطريقة التي يمكننا أن نتبعها ليكون في أشغالنا حياة .

قال ليس هنالك طريقة للسير على مقتضاها لكن التهذيب الفني جدير بذلك .

قلت وما هو التهذيب الفني .

قال أن ترى وتتأمل وتقرأ بعناية أدب الادباء وفلسفة الفلاسفة وتدرس علم النفس وتختلف الى كل الطبقات على شرط أن تجعل نفسك من كل هذا غاية ، وهي أن ترقى فنك ولا تنس التاريخ فله أهميته ، وقليلا من الطب [illegible] قال هذا وسكت ، ومكثنا كذلك [illegible] والتفت [illegible] أنه أحضر [illegible] وكان ذلك [illegible] بقصد أن يطلعني عليها فأراني فيها صورة [illegible] « ليوناردو [illegible] » وقال [illegible] قال أهي صورة ؟ [illegible] أجد [illegible] [illegible] صورة أخرى [illegible] الفنان الاسباني [illegible]

« فلاسكوس » وأخرى لايطالي يعيش حتى الآن واسمه (مانشيني) تمثل والده وصوراً أخرى لا تزيد على القدر وفي كل منها أثر للحياة بل حياة .

وبعد قليل قال علك فهمت الآن ما كنت أقصده فأجبت نعم ، واستأذنته بالانصراف فسمح .

محمد عزت مصطفى
أكاديمية التصوير العليا بروما

رحلة
في بلاد الاسكيمو

(بقية المنشور على صفحة ١١)

فأدركت أني تسرعت وأنني لازلت في حاجة الى وقت طويل لأستطيع الحصول على ثقة ايجنشوجارجوك . ولم أنم هذه الليلة مطلقاً ، فقضيتها أنعم بجو الربيع الجميل وأرى النيران المشتعلة تحت الاوعية الضخمة . وأدركت من هذا أن القوم يبيتون لناحفلة . ولقد أعدوا لنا حساء دسما من العظم المسحوق وكانت طريقتهم في ذلك أن يتركوه على النار ليلة كاملة .

هذا والاطفال الصغار الذين لا يميزون بين الليل والنهار يلعبون حول الخيام . وقد جاس الشبان والبنات خلف خيمتنا تماما يرتلون أغانيهم بأصوات رخيمة . وكان منها المحزن ومنها ما يثير العواطف .

ومرت بمخيلتي كذلك أغاني تثير العاطفة وأخرى محزنة ، وظللت بين هذه تارة وتلك أخرى حتى غلبني النعاس . فنمت

انتهت . تعريب . عثمان أحمد عثمان
ليسانسيه في الحقوق

أشهر الكتب الخالدة

فاوست
الفيلسوف الذي باع روحه للشيطان !
للشاعر الالماني الكبير « جيته »

تلخيص الاستاذ زكريا عبده

فاوست في الأساطير

في اساطير أوربا ، أن فاوست — أحد أهالي سفابيا — ورث عن عمه ثروة أنفقها في اللهو والمرح ورماها بدون أي حساب في سبيل الاستمتاع المتطرف بالملذات . وهكذا أنفق كل ثروته ! لكنه لم يرض شهوة الاستمتاع المتطرف التي كانت في نفسه ، فما زال يبغي اللذة ويبحث عنها حتى توصل الى أن يتفق مع الشيطان على أن يعيش ٢٤ عاما في لذة تامة وسرور كامل ، وبعدئذ يكون جسمه وكذا روحه تحت تصرف الشيطان !

فاوست وجيته

وقد وجد الشاعر الألماني المظيم « جيته » في هذه الاسطورة موضوعا لائقا لرواية شعرية اختارها ، وكتب « فاوست » التي تعتبر الآن سيدة مؤلفاته ، والتي لها مكانة عظيمة جداً عند جميع أدباء العالم . ولعل سر قيمة « فاوست » التي كتبها « جيته » يرجع الى أنه قد ضمنها من الأفكار والعواطف ، في أسلوب متين ، وشعر عال ، مايؤثر في كل جزء من الأجزاء الحساسة في نفس الانسان . في هذه الرواية — كما يقول الاستاذة ج . هـ . لويس . قد تجمعت عناصر عدة من ذكاء وحكمة الى ألغاز وسحر ، ومن عواطف وشك الى هيبة وتهكم . . لا يقرؤها انسان دون أن تهتز أوتار قلبه ، لأنه لا يوجد عنصر في هذه الرواية إلا وله وتر يهزه ويؤثر فيه من الاوتار الحساسة التي في نفس الانسان ، وأولئك الذين يقضون حياتهم في صراع مع الشك ، ويحاولون أن يحلوا لغز الحياة ويكشفوا عن سرها ، يشعرون بأنهم يزدادون تأثراً غريباً عندما يقرأون أشعار (فاوست) التي كان من حسن حظ اللغة العربية أن وجدت من أبنائها من يترجمها وأعني به الدكتور محمد عوض الاستاذ بالجامعة المصرية .

القصة

[illegible] القصة بأن نرى الفيلسوف فاوست [illegible] مكتبه يفكر ويتأمل ، فهو الذي [illegible] الدرس والتحصيل ، وهاهو [illegible] الزمن يطوي الليل فوق الجبال [illegible] ومع ذلك فانه لم يشبع [illegible] رأيه على أن يتخذ [illegible]

وهناك في الاجتماع العام يتعرف الاثنان بكثير من المجتمعين . وقد لاحظ فاوست أن كلبا اسود يتبعه اينما سار . فلما عاد الى مسكنه تحول ذلك الكلب الى « مفيستوفيليس » الذي أخذ يغري فاوست ويهيء له حاو الاستمتاع بلذات ما ذاقها انسان من قبل . واذ يبدي فاوست رغبته في الاستمتاع بها . يشترط الشيطان عليه انه يقبل ان يشبع رغبته لمدة معلومة على أن تصير روح فاوست وجسمه تحت تصرفه بعد انتهاء تلك المدة المتفق عليها

أما فاوست فقد وافق على أن يبيع روحه وجسمه نظير لذة يستمتع بها الى زمن محدود .

وقد رافق مفيستو فيليس الفيلسوف فاوست في زيارة مطبخ احدى الساحرات . وهناك بعد مناظر رائعة جداً يصاب فاوست بداء الحب . فما كاد يرى مرجريت ، الفتاة البريئة الطاهرة ، حتى يقع مستميتاً في حبها ويعترف لها فتردعه في أول الامر . فيعرض أمره على نصيره مفيستوفيليس فيسهل هذا عليه السبيل الى اغرائها اذ يجعله يضع في غرفتها علبا من الجواهر الثمينة على غير علم منها . واذ تراها مرجريت بطريق المصادفة تبدي رغبتها في عدم ابقائها . لكن « مارتا » رفيقتها في الدار تفهمها أن من الغباوة والجنون أن ترفض مثل هذه الهدية . وأخيراً ترضى مرجريت أن تتقابل مع فاوست في الحديقة . وهناك تحت فروع الاشجار التي يلاعبها النسيم يجلس الى جانبها وذراعه في ذراعها ويتحدثان عن الحب وعن الحياة وعن السعادة .

وفي أثناء ذلك كان مفيستوفيليس عند مارتا يلاعبها ويتظاهر لها بالحب فتنخدع وتقدم له الهدايا لتنازله بحبه اياها ، وخاصة انها لم تكن من الحسن أو الجمال في شيء . وقد ظنت انه يوجد من يحبها . ولكنها كانت ألعوبة من ألاعيب الشيطان !

والآن أقدم للقارئ قطعاً مختارة من الحديث الذي جرى بين فاوست وبين مرجريت عند مقابلتهما في الحديقة !

فاوست

[illegible] الحديقة [illegible]

فما تجاسر انسان قط أن يتحدث عني بسوء ومع ذلك فانك بتجاسرك جعلتني أفكر . آه ! . كم كنت جسورا الى حد بعيد اذ ضمتني بذراعيك ! انها لحرية ، ولكنها غير لائقة . لاح لي انك كنت تفكر :

هاهي فتاة يلزمها قليل من التودد والاستعطاف ولقد تحرك في نفسي . لست ادري . انه شيء جعلني أغتبط لرؤيتك . مع اني كنت غاضبة من نفسي ، لأني لم أغضب منك غضبا قويا ، ازاء سلوكك معي . .

فاوست :

حبيبتي الحسناء ! .

مرجريت :

ابق الآن .

(تقطف زهرة في شكل نجمة . وتجعل تنثر أوراقها ورقة ورقة) .

فاوست :

ما هذا ؟ هل أستحق زهرة ؟ .

مرجريت :

لا . . وانما ستضحك مني .

(تنطف و .) .

يحبني . . لا . . يحبني . . يحبني . . لا . . يحبني .

فاوست :

أنت . . يازهرة من حديقة السماء ! .

مرجريت :

(مستمرة) .

يحبني . . لا . . يحبني . . لا . .

(تقطف آخر ورقة من الزهرة في ابتهاج وسرور) .

يحبني ! .

فاوست :

حبيبتي ! اعتبري هذه الزهرة التي قررت مصير حبنا . اعتبريها معجزة الهية . . أحبك ! ألا تفهمين . . اني أحبك !

(يصفق يديها بيديه) .

ويمضي عليهما وقت سعيد اذ أنها استسلمت لقبلاته وخضعت لارادته .

ولكنها عادت الى منزلها قلقة النفس مضطربة اذ نراها وحيدة في غرفتها جالسة أمام عجلة المغزل في حالة يرثى لها وتقول :

لقد راح هدوئي .
وصار قلبي في ألم .
ولن أستعيد هدوئي .
آه . . لن أستعيده .
اني أرقبه عن قرب من النافذة .
اني أبحث عنه وحده ، لأني
وعلى الرغم من ذلك فانها ترضى [illegible]
[illegible] فاوست في الحديقة .

منظر الكاتدرائية

ذهبت مرجريت الى الكاتدرائية [illegible]

(ومرجريت بين رهط من الناس وخلفها روح الشر) .

روح الشر

بأي شعور أنت قادمة الى هنا ياجريتشان (تصغير اسم مرجريت) ، انك ما زلت عديمة الخبث والمكر ، اذ تأتين الى المذبح وتنطقين بلسانك الالثغ ، صلاتك من الكتاب المقدس ، انك الان في دور بين الطفولة وبين الشباب ومازال نصف قلبك مملوءا بروح الاله ! جريتشان ! أين أفكارك ؟ أي جرم ينطوي عليه قلبك ؟ هل من أجل أمك تصلين . . أمك التي باتت من أجلك في حالة يعمها الالم والحزن الشديد ؟ ماذا يؤلمك . اني أرى علاماته على وجهه وهكذا ثبت لي وجوده كما ثبت لي انه يعذب نفسك ؟ .

مرجريت :

ويل ! ويل ! ويل لي ! كم كنت أود ان أحرر نفسي من تلك الافكار المتزاحمة الى صدري على الرغم مني . .

المرغون :

فليحرس الله كل من يموت

روح الشر

تبعد منك وجوههم المعظمة ولكي يمدون أيديهم يرتعش أهل النقاء ! . ويل !

المرغون

فليحرس الله كل من يموت

مرجريت

أيها الجار ! اعطني روح النشادر !

« يغمى عليها »

مرجريت في السجن

يتغير المنظر ونعود فنرى فاوست مع مفيستوفيليس فوق جبال هارتز ، حيث يشاهد الاثنان الساحرات الخليعات المتهتكات . .

وتصل الرواية في هذا المنظر الى القمة ، إذ أن فاوست قد علم أن مرجريت في السجن بسبب قتلها طفلها الصغير .

فاوست

في بؤس ! متروكة للأرواح الشريرة بحكم العدل البشري الخالي من العدل والرحمة ! وأنا هنا هادئ البال منغمس في لذاذات لا طعم لها ! وأنت تخفي عني سوء حالها المتزايد ، وتدعها تموت وتهلك دون أن أساعدها ! .

مفيستوفيليس

انها ليست الاولى التي تصل معها ذلك !

فاوست

سحقاً لك يا كلب ! [illegible] غيري أيتها الروح اللامحدودة ، غيره ثانية الى حالته الاصلية [illegible] كان يبدو لي في ساعات الليل [illegible] في السير أمامي ، وكنت أراه يتدحرج عند أقدام عابري السبيل [illegible]

[illegible]

الأدب المصري

ونظرة علماء الأدب الأوربيين

للدكتور محمد غلاب

يرى علماء الاوروبيين، في شيء من المغالاة، الآداب الشرقية بوجه عام والسامية بنوع خاص، بأنها مؤلفة من جمل مقتضبة وعبارات قصيرة وأمثال متفرقة ومقطعات وقصائد لا ترتبط أبياتها صلة ولا تجمع أجزاءها جامعة، وفوق ذلك فهي لا تكاد ترسم الحياة الاجتماعية لهذه الامم التي ظهرت فيها، بل إن منشئيها ينشئونها لارضاء رغباتهم الخاصة وإطفاء شهواتهم الشخصية ويصورون فيها أخلاقهم ونزعاتهم وميولهم الفردية دون أن يدرسوا الامم أو أن يعنوا بأحوالها الاجتماعية أو يعبأوا بحياتها العقلية أو الاخلاقية أو الدينية. ويرمونها كذلك بأنها خالية من الأدب القصصي الذي هو حلية الآداب «الاندوجرمانية» وزينتها والذي وجد منذ زمن بعيد في الآداب اليونانية والرومانية ولم يوجد منه في الآداب العربية مثلا الا قصص مقتضبة في القرآن وهي مذكورة برمتها في التوراة، ثم أنها لا تعرض لحالة الشعب الاجتماعية إلا لماما.

قلت لك إن في رمي الاوربيين الآداب السامية بهذه النقائص الشائنة شيئا من العدالة والانصاف وإن كان قد غالى في ذلك المسيو (رينان) وأمثاله من أعداء الساميين واعتبروه دليلا على قصور أفكارهم وانحطاط عقلياتهم، وعززوا هذا الحكم بأنهم لم ينتجوا فلسفة سامية خالصة وأن ما زعموه لانفسهم من فلسفة وأخلاق هي يونانية ترجموه في العصور الاسلامية ثم ابرزوه للناس مرتديا ثوبا عربيا وزيفا أضل الناس وأفسد عقولهم لا أكثر ولا أقل، وان العنصر السامي غير قادر بفطرته على الفلسفة، وأن من ظهروا فيهم من الفلاسفة والمفكرين هم من العنصر الفارسي أو الهندي، ولو أن في طبيعتهم استعدادا للفلسفة لسبقوا الاسلام الى البحث عن حقائق الاشياء أو التفكير في ماهية الوجود أو الى انتاج النظريات العقلية ووضع المسائل العامة التي تبحث في أصل الكائنات وما لها وحكمة وجودها.

وسواء أكان ذلك برهانا على قصر عقليات الساميين أم ناشئا من طبيعة الجو وتأثير المناخ، فان الواقع الذي لا شك فيه هو أن الآداب السامية خالية من تلك الامتيازات التي ذكرناها، ولهذا النقص قيمته في رأي العلماء.

كان المستشرقون الى منتصف القرن التاسع عشر يخلطون بين مصر وبين الامم السامية ويؤمنون بان ما لحق آداب تلك الامم من النقص والقصور قد أصاب الادب المصري فخلا من القصص وطول العبارة واستعمال التفكير واستمرار الخيال من ناحية، وخلا من الفلسفة والنظريات من ناحية أخرى.

وما زالت هذه عقيدتهم الى أن اهتدى المستمصرون الى تلك الآداب المصرية الرائعة التي بهرت الاوربيين وأقنعتهم بان مصر دولة [illegible]

ولا قرابة بينها وبين المغربيين، وانها هي قد سبقت الشرق والغرب الى الحضارة فضربت فيها بسهم نفاذة قبل أن يغادر غيرها الجبال والغابات.

اكتشف المستمصرون في القرن الماضي من القصص الشيقة التي يرى القارىء بين سطورها حياة الامة الاجتماعية والاخلاقية ممثلة أكمل تمثيل. وقد نقل أكثر هذه القصص الى الفرنسية المسيو (ماسبيرو) في كتاب سماه القصص المصرية القديمة، ونقلها بحذافيرها الى الالمانية المسيو (جانتير ردير) وصدر كل منهما كتابه بمقدمة طريفة عرج فيها على الحياة المصرية، فشرحها من جميع وجوهها شرحا دافعا للحاجة وافيا بالمقصود..

فمن هذه القصص قصة الأخوين، ومجملها أن شقيقين كانا يعيشان في منزل واحد يشملهما الهدوء والغبطة وكان أكبرهما متزوجا من امرأة شهوانية، فراودت أخا زوجها عن نفسه فاستعصم ورد سؤلها بشمم وإباء، فأوقعت به عند زوجها فهم بقتله لو لا أن نجا بمعجزة من هذا الموت الظالم، ثم أظهرت الآلهة حقيقة الامر وكشفت سر الخيانة فقتل الرجل زوجته التي حاولت خيانته، أما أخوه فقد فارقه زمنا طويلا ثم دارت به الايام فتزوج بامرأة خانته هي أيضا وإن كانت من نسل الآلهة، ولكنه عاقبها بالموت بعد أن حاولت قتله عدة مرات نجا منها جميعها ثم أصبح ملكا على مصر..

ولست في حاجة الى أن أدل القارىء على مواطن الشبه الموجودة بين هذه القصة وبين قصة يوسف التي ذكرت في التوراة والقرآن، ولكن أسلوبها كأساليب كثير من هذه القصص ساذج بسيط لا أثر فيه للصناعة الادبية المتكلفة، بل هو برهان ساطع على بساطة تلك العصور البعيدة التي كتب فيها منذ نحو أربعة آلاف سنة، ولولا ضيق المقام لترجمت للقارىء بعض هذه القصص ترجمة أمينة، ليرى من الآداب المصرية التي حال بيننا وبينها الجهل باللغة الهيروغليفية والتي كان الفضل في معرفتنا إياها راجعا للأوربيين الذين قاسوا في سبيل الحصول عليها المتاعب والآلام.

وكما أن مصر قد فاقت الساميين بأن لها قصصا، فاقتهم كذلك بأن لها فلسفة مصرية خالصة فمن ذلك «كتاب المحاورة بين مصري وروحه» وتلك المقالات المتعلقة بالامور العالية التي تلتهي بالقارىء الى الالهام بعد أن تشككه في السمعيات جميعها، والفصل في جزء هذه الفصول الفلسفية راجع الى تلك الثورة السياسية والاجتماعية التي قد ستعر أوارها في أخريات الدولة الاولى.

هنالك ثلاثة كتب أخرى جديرة بالعناية والاهتمام يجب علي أن ألفت نظر القارىء اليها، الاول هو كتاب (فتاح حتب) وهو أقدم [illegible] تسنح لي الفرصة. فأنت ترى مؤلف هذا الكتاب حين يعرض المرأة يكتب عنها كؤلف القرن العشرين رقة وظرفا. يقول المؤلف في الفصل الخاص بالمرأة: «أعز زوجتك وزينها وأرض رغباتها فان هذه فضيلة تشرف فاعلها، وأحبها واعطف عليها لتعيش هادئا مغتبطا». واذا نزل بك الى الميدان السياسي تجده يصف الملوك والحكام وصفا دقيقا ويأمرك بطاعة الرؤساء. واذا عرج على الطبيعة وألوانها ألفيته يصف الشباب ولذاته والشيب وآلامه والشيخوخة وعوائقها وهكذا.

وأما الكتاب الثاني فهو (حكم الكاتب آني)، ولست أريد أن أطيل بك الوقوف عند هذا الكتاب، وإنما أريد أن أذكر لك منه جملة [illegible] المؤلف الى ولده في أنه يقول له: «[illegible] الطفل والشباب الذين [illegible] الى [illegible] وأحسنت [illegible]» ويظهر أن رياسة الاسرة في ذلك الحين كانت للأم حيث يحدثنا الكاتب بأنها هي التي عنيت بتهذيب الطفل وتثقيفه.

أما الكتاب الثالث فهو سياسي بحت وعنوانه «تعاليم أمنمحت الاول» وهو قائل الحكمة والاحتياط كتبه لابنه ليحذره من حرب من أهل البلاط فيأمن بهذا الحذر دسائسهم الكثيرة.

هنالك كتب كثيرة غير هذه الكتب في الآداب المصرية القديمة، ولكنني أكتفي الآن بما ذكرته للقارىء مبرهنا على أن مصر ليست كالامم السامية قاصرة الخيال محصورة التفكير، وإنما هي أستاذة الدنيا ومعلمة الوجود، والى أخص هذه الكلمة بقول المسيو (ماسبيرو): «لست أريد أن أرد على الذين يقولون إن الشعوب لم تعرف القراءة الا بعد الكتابة، كيف وقد كانت عندهم قبل اليونان القراءة والكتابة [illegible] المصريين [illegible]».

محمد غلاب دكتور في الآداب

الفرق بين الانفعال والشعور

ان الفرق بينهما غير واضح تماما، فليسا بميدين بعدا يسمح بتفرقتهما لرجوعهما الى أصل واحد هو الحساسية. (sensibilité) الا أنهم اصطلحوا على وضع خط تنفصل عنده معالمهما.

(١) الانفعال ينتج عن تأثير عضوي، وليس له أية علاقة بعمليات الخلايا الخفية يمثل له بالرغبة في الاكل، واللذة في الشراب، والألم من الجوع أو العطش. والشعور على العكس من ذلك، فهو خاص بالذكاء أو بالاخلاق، ويمثلون له بالتخيل أو الحكم أو التذكر الخ.

(٢) الانفعال مركزه الجسم خاصة، فالألم يمكث بالعضو المريض أو المجروح، والتأثر بالرائحة يأتي بواسطة الانف، وفي الفم يظهر أثر العطش الخ، أما الشعور كالشجاعة والحماس والحب والكراهية فهي لا تتمركز في جسمنا بل مركزها النفس.

(٣) الانفعال يضعف بالتكرار، فاليد تتعود على لمس الاجسام الباردة، إذا كثر مرورها عليها، وحاسة الشم في الانسان تفقد التمييز إذا كثرت المواد المنبعثة رائحتها. أما الشعور فبالعكس ينمو بالتمرين: فمحبة البحث عن الحقيقة أو العدل أو الجمال تنمو في النفس، وتستخدم كل ما يمكن من القوى.

ملاحظة: الانفعال عام مشترك بين الانسان والحيوان، أما الشعور فيكاد يكون خاصا بالانسان لولا بعض خصائص يمتلكها الحيوان، كالفرح والألم والحب والكراهية، نجدها في الحيوان كما في الانسان، لأن عنده خبرة حسية.

منهجهما

ان الانفعال الداخلي هو الغاية من الحياة الطبيعية، فهي تعلمنا كيف نبحث عن الحاجات الضرورية لكياننا، وتعرفنا كيف نتقي كل العاديات لنحفظ بنياننا المادي.

والانفعال الخارجي يخبرنا بوجود الموضوعات الخارجية، ويدفعنا الى معرفتها، وبهذا يوقظ فينا خاصية الذكاء. والشعور هو أعلى غايات المعرفة، فعلى طريقة الذكاء هو يعلمنا على أي درجاته نقف، ويلهمنا الى ما نحتاج اليه لنكون أكثر ذكاء وأقوى موهبة، فالسرور الذي يتبع اكتشافا ما، يدفع المرء الى بحث جديد. وعلى طريقة الاخلاق هو يحثنا على أن نعمل شيئا أو نتركه لنصل الى المثل الاعلى، فكما أن الندم أول عقاب على الرذيلة، كذلك السرور أول مكافأة على الفضيلة، وهما أكبر دافع على مجهودات أخر.

الميل الحسي

وهو ما يعبر عنه النفسيون بالاسباب السرية للحساسية ويقسمونه الى:

(١) أهواء أو ميول.

(٢) حب أو دافع حيوي.

فالهوى أو الميل هو الانعطاف الطبيعي أو الغريزي في النفس الذي يدفعنا الى طلب الاشياء المتعلقة بطبيعتنا، ويفرعونه الى ميل ذاتي أو شهوية، وهو الاثر العضوي الذي يدفعنا الى البحث عن الاشياء التي تظهر نافعة لحفظ كياننا وحياتنا الطبيعية، وهي في الغالب دورية أي تعاودنا في أوقات تكاد تكون منتظمة، ويمثلون لها بالجوع والنوم والعطش. وكما تكون الشهوية طبيعية كالحاجة الى الغذاء والراحة وما أشبه كما قدمنا، كذلك تكون صناعية اذا كانت نتيجة عادة مكتسبة كالحاجة الى التدخين والمشروبات الروحية وما اليها. ويلزم للذنية الطبيعية أن تكون مضبوطة منظمة خاضعة للمنطق العقلي، أما الشهوية الصناعية فهي في الغالب ضارة قبيحة تجر سلسلة الشر تباعا. والميول المتعلقة بالشخصية البشرية تعلق بعضها بالنفس فقط، والآخر مشترك بينها وبين الجسم، فمثلا نحن طبيعيا نحب كل ما يستطيع أن يصير وجودنا أحسن كي نناأشد وأقوى، ونحب أيضا كل ما يستطيع أن يهيء لنا عيشا رغدا أو سعادة وغنى أو فضيلة واستقلالا، والى الاسبوع المقبل.

عن (خلاصة الفلسفة)

عبد الحميد علي الشرقاوي

المفاجأة المزدوجة

... دفعت الى عامل التلغراف البرقية الآتية: —

«.....»

«.... سأصل اليوم بقطار الظهر. انتظر مفاجأة ممتعة!»

***

قالت صاحبتي، وقد استطاعت أن تقرأ نص البرقية، اذ كانت واقفة بجانبي:

أية مفاجأة تلك التي ستفجأ بها صديقك؟! انك وعدتني أنا بمفاجأة!!

قلت باسما — نعم، يا صديقتي سترين مفاجأة ممتعة، وسيرى صديقي مفاجأة ممتعة أيضا، وبذلك تكون مفاجأة مزدوجة!

قالت — باسمة — وأنت؟! ألم تعهد لنفسك مفاجأة؟!

قلت — ضاحكا — يكفيني أن أضحك من الدهشة التي ستستولي عليكما. ومع ذلك فليس علي أنا إعداد المفاجأة لي. ومن يدري! ربما خلقتها لي الظروف!

قلت هذا ونحن في طريقنا الى القطار.

***

أما صديقي الذي أرسلت له البرقية، فشاب في الثلاثين من سنه كان زميلي أيام الدراسة وكنت أحبه وأوثره على باقي الرفاق لجاذبية خاصة في نفسه وخفة في روحه، وقد كان شعوري نحوه غريبا إذ كان يتعدى حد الصداقة الى درجة الحب، فلم أكن أقنع بالسلام باليد اذا التقينا بل لا بد من العناق والتقبيل.

وكان لثراء والده وبسطة رزقه لعوبا متلافا، لم ينجح في دروسه رغم ذكائه المتوقد ونباهته الممتازة، وأكببت أنا على الدرس لفقر والدي وقلة ذات يده حتى أتممت دراستي، فكان طبيعيا أن تفرق بيننا الأيام، إذ مضيت أزاول العمل الذي هيأني تعليمي له، مندمجا في وسط جديد ضمن حياة جديدة. أما هو فان والده لم يجد له علاجا يصرف به عنه مرض العبث والفساد غير تزويجه واقصائه عن المدينة الى حيث الريف الساكن الوادع، حيث يصعب الوصول الى أدوات «الشيطنة» والعبث، وأقطع له مالي فدان، وأقامه وسطها «عزبة» كبيرة وكله إدارة شؤونها.

وهدى الله صاحبي فغدا القانع الراضي بالحياة البسيطة غير متذمر منها أو مكترث [illegible]، وأقبل على العناية بأرضه حتى غدت [illegible] المرح وأجلب للخير.

***

[illegible] عشرة أعوام على خروجي من [illegible] لا أعرف عن صديقي شيئا، الى أن [illegible] ليلة حافلة تقابلنا فيها مصادفة فكانت [illegible] كانت فرحة، وكان عناقا وتقبيلا!

[illegible] كرنا الماضي وحننا الى أيامه المنقرضة، [illegible] كل سأل صاحبه عما انتهى اليه حاله [illegible]

قلت — باسما — أريد أن أطبق نصيحة «جحا» فأسأل الذين تزوجوا قبلي: هل هم سعداء؟!

فصمت لحظة — أحسست مما ارتسم على وجهه أنه يتألم، ثم قال:

خير لك ألا تتزوج!

قلت — أشقي أنت بزواجك؟؟

قال — شقي ... وسعيد!!.

ونظرت اليه في دهشة. فأتم:

نعم! سعيد لانني أحب زوجتي، وهي تحبني. وشقي لان أهلها وأهلي يفسدون علينا سعادتنا بما يثيرونه من مشاكل ومسائل تافهة ويفرضوا على كلينا تحمل نتائج هاتيك المشاكل التي لا نقرها ولا دخل لنا فيها، كأننا هم المتزوجون.

قلت — وما مبعث تلك المشاكل؟؟

قال — مبعثها يا سيدي ان أهل الزوجة أغنياء فهم يريدون أن يملوا علينا اراداتهم املاء في كل أمر جل أو دق. وأهلي ليسوا فقراء فهم لا يقبلون بأية حال السماح لاحد — أيا كان هذا الاحد — أن يأمرهم أو يملي عليهم ارادته. ومن هذا يسهل عليك تصور سرعة الاصطدام بين الطرفين لما بين وجهتي نظرهما من تفاوت وتنافر.

وهكذا ضعنا نحن البريئين بينهم، فقد مضى الآن عام كامل لم أر زوجتي فيه رغم شوق كلينا لرؤية صاحبه. ألأنها غضبى ... كلا! بل لان أهلها غاضبون، وأهلي منهم أشد غضبا. ويأبى أحد الفريقين أن يمشي خطوة ليبدأ بطلب الصلح. ولست تجهل التقاليد التي تقيدنا وتغل أيدينا. فلا أنا بمستطيع التملص من سلطان أهلي ولا هي بقادرة على التمرد واعلان الثورة على أهلها، ولعنة الله على الجميع!

ثم تنهد صاحبي وقال:

دعنا من ذكر تلك المنغصات؛ ولا تشوه لحظة لقائي بك — أنا مشتاق اليك أريد أن «آكلك» فماذا ترى؟!

قلت — تفضل؟! ولكني أنا الآخر أريد أن أبتلعك!! فأينا يأكل صاحبه؟[illegible]

قال — باسما — انتظر حتى أفرغ من أكلك ثم ابلعني.. دعنا من الهزل.. لا بد أن أراك في الاسبوع المقبل على الاقل. أمامك عشرة أيام تمضيها عندك، سترى عجبا: قريتي تسبح في الماء لن تصل اليها الا في قارب الماء ينهمر حوالى خمسمائة الف فدان، والقرى تبدو وسط الماء كالقوارب الطافية، والاشجار الطويلة تبدو رؤوسها كأنها طافية فوق سطح الماء. منظر ما أبدعه.. سيلذك جدا.. اذا كنت لا تزال محتفظا بنزعتك الشعرية، ولم تكن أفسدتها ضوضاء الحياة.

***

أما صاحبتي، فكنت حديث العهد بمعرفتها منذ شهر واحد كنت في صالة أحد المسارح أشاهد قصة ممتعة، وكانت تجلس بجواري فتاة هي [illegible] الطلعة، ممشوقة القد، جذابة الملامح، من النوع الذي لا تستطيع متى استقر بصرك عليه، أن تتخلص من الاهتمام به والتفكير فيه، رغم ما كان يعلو وجهها من شحوب يدل على هم وشجن. كنت مهموما مكروب النفس لظرف خاص أمضني ثقله، فسرى عني منظرها كثيرا مما كنت أشعر به من ضيق وحزن.

وكانت القصة تمثل فتاة حساسة رقيقة الشعور حيل بينها وبين من تحب ليتمها وفقرها بالرغم من أن حبيبها يبادلها الحب بل ويعبدها.... ولكن الاهل واعتباراتهم تقف في الطريق. فيقتل الولد نفسه، وتجن الفتاة حزنا عليه...

وكانت المواقف مؤثرة جدا مثيرة للعواطف، والفصول محبوكة الاطراف، والقطعة بجملتها محكمة الوضع تدب فيها الحياة والحركة. وأجاد الممثلون اخراج أدوارهم حتى كنا نحس كأننا نعيش، وكأن القصة واقعة حقيقية أمامنا لا رواية تمثل، فانفجرت العيون بالبكاء.

وكانت جارتي أكثر الحاضرين تأثرا وأفيضهم دموعا وأظهرهم لوعة واشفاقا على أبطال القصة. حتى التفتت الى تسألني عن أسماء الممثلين. وقد لاحظت اهتمامي بها وملاحظتي ثورتها النفسية وما حركته الرواية في نفسها من أشجان.

وأتاحت لي بسؤالها فرصة إذ مضيت بعد أن ذكرت لها اسماء الممثلين، أتعرف بها، وبدأ شيء من التفاهم يحل بيننا لمضينا نظهر سخطنا على التقاليد وننتقد الاعتبارات القاسية التي لا مسوغ لها، والتي كثيرا ما تجلب أوخم العواقب. وبالاختصار خرجنا من المسرح صديقين يعرف كل منا اسم الآخر. واتفقنا على أن نلتقي في الاسبوع القادم.

والتقينا. وقد شعرت بأنها ليست سعيدة رغم الحرية التي كانت تتمتع بها، اذ كانت ترتاد ما تشاء من المسارح والملاهي ولا تسأل عما تفعل، وفهمت أن ذلك نظير حرمانها من شيء آخر لم تذكره وانما أدركت أن أهلها يريدونه ويرغمونها على قبوله، ويرفهون عن نفسها بهذه الحرية المطلقة.

ولحظت في سلوكها وأسلوب حديثها مبلغ سمو نفسها، فلم أشأ أن أثقل عليها أو أتقصى أكثر مما أفضت به الي، قانعا منها بصداقة طاهرة بريئة وسهرات في المسارح والسينما هي نهاية النقاء والطهر وإن كان رأيي في معاملة النساء — قبل أن ألقاها — يختلف عن ذلك.

فقد ارغمتني على احترامها وتقديري إياها والوقوف معها موقف الأخ والصديق وإن كانت مهجتي قد تتلظى غراما بها ووجدا.

فهمت من بعض ما لمحت به أنها شقية لانها تحت سيطرة من لا يقدر عواطفها. وفهمت أنها ليست عذراء. لانني فكرت في زواجها وأشرت الى ذلك من طرف خفي، فأغلقت الباب إغلاقا حسم عندي الشك في عذريتها. وأدركت أنها قد تكون متزوجة ولكنها شقية بهذا الزواج.

هذا كل ما عرفته — وفهمته — عنها، وقد دعوتها الى تلك النزهة البديعة التي دعاني اليها صديقي، ووعدتها بمفاجأة ممتعة ومناظر [illegible] التردد [illegible]

قالت وهي تسبح بعينيها في الفضاء: —

الريف! الريف يا صديقي! ما أحبه الى نفسي! لقد أردت أن أذهب معه الى هنالك... ولكنهم منعوني. وتلك علة شقائي!

وسالت عبرة على خدها جعلتني أرتعش تأثرا واشفاقا عليها، ولم أجرؤ على سؤالها عن الذي أرادت أن تذهب معه ولا عن الذين منعوها عن ذلك، محترما سكوتها وحزنها.

وكان يوم السفر فسافرنا..

***

نعمنا وقتا غير قصير بالنظر الى الخلاء والزروع بينما القطار يقطع بنا الطريق وسط حقول ناضرة وأراض مهيأة للزرع تغمرها المياه أو سوداء جف الماء منها.

وأسلمنا القطار الى رصيف يجب أن نسير بضع خطوات عليه لنصل الى حيث القارب معدا لحملنا. وقابلنا خدم صديقي فعرفوني فأشرت اليهم أن يتريثوا مع السيدة، ويلحقوا بنا على مهل لانها لا تستطيع الاسراع في المسير خصوصا والارض رملية تغوص الارجل فيها. وصحبني غلام يافع يدلني الى حيث يقف القارب بصديقي. فما لمحت له حتى وثب الي يعانقني ويغمرني بالقبلات وهو يكاد يجن من الفرح لانه محروم من رؤية أمثالي في هذا المقام النائي.

قال: أين المفاجأة؟؟ اين المفاجأة؟!

قلت — صديق معي! ما قولك؟ فصاح: أهلا وسهلا! سيكون السرور مضاعفا. شكرا. شكرا.

قلت — باسما —. واذا كانت صديقة؟!

فوثب طافرا من الفرح وهو يردد: «أصحيح هذا؟» فما أكدت له ذلك حتى انهال علي، مرة أخرى، يقبلني ويقول: يا له من يوم ممتع فلت عن تكديره أبالسة الجحيم!. حقا انها لمفاجأة وحقا إنها لممتعة!

ولاحت صاحبتي يحيطها الخدم القرويون السذج وهي تهتف حين وقع بصرها على الارض الواسعة يغمرها الماء: هذا بديع. هذا بديع. حقا انها مناظر ممتعة!

وهمس هو في أذني: ما أجملها. انها لوح فاتنة. من أين جئت بها؟؟

قلت — اليك فقط أن تتأدب؛ ولم يجبني صاحبي. أما صاحبتي فقد وصلت وحييتها ومددت يدي أساعدها على الصعود، ولم تكن قد أحست بوجود أحد معي فقد ظنت صاحبي عاملا من أبناء الريفية، ولكني وجهت لسكوته وصمته فلكزته أنبهه ليأخذ بيدها معي فلم ينتبه. والتفت اليه فاذا الاحمرار الذي كانت وجنتاه مصطبغة به قد زال وحلت محله صفرة شديدة وأحاطت عينه هالة زرقاء. ولما اتجه للكزة ولقولي له: خذ بيد السيدة أيها الابله! انتفض كأنما أفاق من حلم، ثم مد يده وتناول يسراها وقال وهو يحدق فيها: — تفضلي. سيدتي.

وعجبت لتغير سحنته، ولكنني أحسست بيد صاحبتي ترتعش في يدي وتنتفض فرفعت طرفي اليها فاذا بها لا تقل عن صاحبنا شحوبا واصفرارا، واذا بها بدل أن تثب الى القارب تحاول الافلات من يدي والنكوص مبتعدة عن النزول كأنما تريد أن تفر.

قالت — منفعلة: [illegible] المفاجأة؟

فذهلت من الجواب وتولانى ارتباك لهذا التغير السريع الذى حل بصاحبتى وصاحبى ولم أعرف مبعثه، وذهب بى الظن الى أنه قد يكون بينهما سابق تعارف. ولكنى استبعدت هذه الفكرة لان صديقى كان يخاطبها بقوله : سيدتى. وهى تجيبه. شكرا سيدى :خصوصا وقد عاد صاحبى يهلل مرحبا بنا ويقهقه. ولكن كالمجانين.

لم يحدث ذلك الا والخدم كانوا قد أخذوا أماكنهم. ونشروا قلوعهم وأعملوا المجاديف فابتعد القارب يشق عباب الماء المتلاطم الامواج وقد أخذ كل منا مكانه. أما صديقى فقد جلس عن يمينى يدير الدفة ويوجه سير السفينة، وكان رغم صياحه بالعمال ليجدوا فى العمل وتظاهره بالسرور يلوح جامدا فاتر العينين ترتسم على وجهه أمارات من أصيب بصدمة قاسية فقدت سحنته وحشية مخيفة، وجلست صاحبتى عن يسارى تريد أن تدنو منى وتلتصق بى كأنما تطلب الحماية، ولكنها تحاول أن تكون بعيدة عنى حتى لا يمسنى جسمها أو ثوبها، وقد مضت تنظر بعينين راجفتين الى بعيد. الى أبعد نقطة فى الافق، ولا تقول شيئاً. ولكنى استطعت أن أدرك انها تتنفس بسرعة وصعوبة.

وقد أبدت تهيبها ووجلها من الماء كأنما هى موشكة أن تغرق، فظننتها وعزوت سهومها ووجومها الى خوفها من الماء وخشيتها من الغرق.

وكان المنظر ساحراً فاتنا. ترى بحراً واسعا منبسطا لاشاطىء له، وهو ليس بالبحر. وتلوح لك من بعد القرى والدساكر والاشجار والقوارب كالحيوانات السابحة والطيور العائمة، ومضى العمال يغنون بأصواتهم المختلفة بنغمات متناسقة أخاذة، أغنيتهم الريفية الساذجة، منهمكين فى التجديف ليصلوا بنا فى أقرب وقت ممكن وليدللوا لنا على مهارتهم وحذقهم.

ولهوت عن عربدة صاحبى وصمت صاحبتى بالمنظر الجميل والغناء العذب البسيط حتى غدونا فى وسط اللجة، وإذا بأحد العمال يصيح : سيدى.. حاذر هنا الصخرة ذات السن الحاد.. حاذر ياسيدى إننا نتجه اليها. إنها خطرة تشق القارب شقا لو صدمته.

والتفت الى صاحبتى فاذا بها تنكمش وجلا وانتظرت أن تتشبث بى ولكنها لم تفعل، بل انكمشت فى نفسها فزعا ورعبا.

أما صاحبى فقد زادت سحنته قساوة واكفهر وجهه، ولمحت فى عينيه بريقا مخيفا يخلله بريق الجنون، وتكلم فاذا صوته أجش كالمجنون صائحا بالعامل الذى نبهه الى الصخرة : الصخرة! لقد تجاوزناها أيها الاحمق!

فقال العمال فى صوت واحد :—

كلا!.. ياسيدى كلا!.. إننا ندنو منها..

فصاح بهم وقد تزايد صوته اخشيشانا وخشونة :—

قلت لكم تجاوزناها أيها البهائم!

وهم أحدهم بالاعتراض فلكزه صاحبى قائلا: اخرس أيها الحيوان! كفاك مكابرة. وتطلع العمال بعضهم الى بعض مذعورين. أما أنا فقد

ودفع القارب فمضى بسرعة الهواء السارى.. وما هى إلا دقيقة ساد فيها الصمت، حتى سمعنا صوتا هائلا وارتجاجا مخيفا واذا بالصدمة قد حدثت فشقت الصخرة القارب وحطمته. وبعثرت أشلاءه هنا وهناك.

لأول وهلة فكرت فى نفسى ولكننى التفت فاذا بصاحبتى وقد غاصت الى الماء ثم طفت تصرخ، وكنت على لوح من ألواح القارب عالق بالصخرة، فهممت بالوثوب الى ناحيتها لأنقذها. واذا بى أحس يداً تقبض على كأنما لتمنعنى لا لتنقذنى، والتفت فاذا بصديقى واقفا على الصخرة وقابضاً على ذراعى يجذبنى اليه. فأشرت له الى المسكينة التى كانت تصرخ ولكنه كان جامداً وقد بدت على وجهه دلائل الارتياح لهذا المنظر المرعب وظل متشبثاً بى. فلم أجد سبيلا الى الخلاص من يده إلا بعضة. كدت أنتزع فيها لحمه حتى تركنى فسبحت الى المسكينة، وكدت أدركها ولكنها غاصت، ولم تعد تظهر . . . .

. . . .

***

لم أشعر بعد ذلك بشىء الا أننى أفقت فاذا بى فى قارب حوله عشرات القوارب فى أحدها جثة مسجاة. وما أن تذكرت الموقف حتى قفزت أصيح : أين هى.. أين هى؟! هل نجت؟... هل نجت؟...

واذا بى أرى صاحبى بجوارى وعلى فمه ابتسامة هائلة تدل على الارتياح رغم خشونتها وهو يقول بصوت فيه رنة فرح وحنق :

لقد ماتت ... هاك جثتها..

اذ ذاك خامرنى شك فى أن هذه النتيجة قد سرته، أو أنه انما أرادها، لكننى راجعت نفسى ولم أصرح بذلك، ولم أتمالك نفسى من البكاء وسالت دموعى غزيرة، ولو أن العالم مات بأسره ما كنت بمتألم أكثر مما تألمت وقت ذاك.

قال صاحبى — بلهجة فيها شىء من السخرية — ما أرق قلبك ياصديقى. عزاء!! أتبكى مومسا؟!!

وكأنما لدغتنى أفعى. فصحت به :

مومس تقول! انك لا تعرف. لقد كانت أطهر بنات حواء..

فقهقه صاحبى قهقهة المارد وقال :

أشرف بنات حواء!! ها.. ها.. لست أول واحد خدعته مظاهرك هذه مع ذلك!

قلت : أو تعرفها اذن؟!

قال : ربما..

قلت : ولكنى أقسم لك أنى كنت الاول أول صديق أريد أن أقول، ومع ذلك لم أدنسها. لقد كانت ملاكا كما تطلب لى. وأتمنى على اختراعها..

لقد كان لها زوج — هكذا ما فهمته — قالت لى مرة : انها كانت تتوق أن تذهب معه الى الريف. ولكنهم — ولعلهم أهلها — [illegible] وحالوا بينها وبينه... نعم! لقد علمتنى كيف أجل المرأة وأنظر اليها كمخلوق [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

وتقدمت فأزحت الغطاء عن رأسها فاذا بوجهها، وقد أصيب بخدوش بسيطة، لم تغير ملامحه الفاتنة، ترتسم على فمها ابتسامة هادئة كأنما اطمأنت بعد اضطراب..

واذا بدموعى تطفى. فأقبل صاحبى وأمسك يدى بيد راعشة وقال : أصادق أنت؟.. أكانت طاهرة حقاً؟؟ ألم تدنسها؟؟

صحت به : بل أطهر من على ظهر الارض.

. . . .

واذا بدمعتين تطفران من عينيه يحاول اخفاءهما فلا يستطيع. واذا بوجهه وقد زايلته الغلظة والخشونة، وعاد وادعاً متألما.

فقلت وقد أحسست شيئاً من العزاء لمشاركته إياى فى ألمى :

أرأيت؟ انها تستحق البكاء!

ولكن صاحبى ظل منتصباً وقد تغلب على دموعه فأمسكها وقال :

لقد ذهبت ضحية!!

قلت : نعم ضحية خطائك وعدم سماعك قول العمال.

قال : كلا! بل ضحية سوء الظن.

قلت (وقد هالنى قوله) كيف؟

قال : لقد ظنتها غدت مومساً!؟

فتهالكت على نفسى وقلت متألما هامسا :

اذن تعمدت قتلها!!

قال : وهو يصر بأسنانه.. نعم انه ولكن لا!. بل هم أهلها الذين قتلوها.!

فاظلمت الدنيا فى عينى ولم أدر : أأقتله أم أصيح : الى القاتل! ولكنى تماسكت وسألت :

ومن أين لك معرفتها؟؟ أومعرفة أهلها!

قال : بصوت رهيب مخنوق

« انها زوجتى! »

(أمينة)

ملتـــــون

— ٣ —

اختفاؤه — زواجه للمرة الثالثة — حياته المنزلية — وفاته — كتبه : الفردوس المفقود الفردوس المستعاد

استقال ملتون من وظيفته فى البرلمان مكتفيا بما كان يتناوله من معاش، نظير ما قام به من خدمات. وفى هذا الوقت مات كرمويل، وبموته رجعت الاسرة المالكة للحكم، فصار مركز ملتون مهدداً، بسبب حملاته السابقة على الملكية، فبينما كانت كل انجلترا مغتبطة بعودة مليكها من منفاه، نجد شاعرنا يجد فى البحث عن مكان يختفى فيه عن الانظار، ثم لا يكتفى بذلك بل يشيع بين أعدائه أنه مات، ويوعز الى بعض أصدقائه أن يقيموا جنازة زائفة له، وسواء كانت هذه الحادثة صحيحة أو مكذوبة فنحن نعرف أنه اختفى مدة طويلة، ولم يظهر إلا بعد ظهور عهد النسيان The Act oblivion فى ١٩ أغسطس، وما كاد يظهر حتى اتهمه أعداؤه بأنه كان يصوب فكرة قتل الملك شارل الاول، ولكنه برىء لعدم توافر الادلة على ادانته. وعلى كل حال لم يكن شارلس بالمفقود، وكفى أننا ندين لتسامحه بأكبر مطوعة شعرية فى الادب الغربى.

وفى منزله الجديد بشارع جوين تزوج ملتون للمرة الثالثة والاخيرة من اليزبيث منشول، ويقال انهما عاشا سعيدين، رغم أن فيليبس يخبرنا أنها كانت تسىء معاملة أولاده من مارى باول أثناء حياته، وقد بخستهم حقوقهم بعد مماته.

وفى سنة ١٦٦١ أخرج ملتون كتابا مدرسيا للاجرومية الانجليزية، كى يستعمله صغار الاولاد. وفى ذلك الوقت استخدم الوود كسكرتير يقرأ ويكتب له، فكان يلازم الشاعر بعد ظهر كل يوم ماعدا يوم الاحد. ولما كان ملتون يكره سماع لملمس يقرأ اللاتينية بلهجة انجليزية، فقد علم الوود النطق اللاتينى الصحيح فى مدة بسيطة.

ثم غير الشاعر مسكنه الى ارتلرى ووك، حيث اشتغل بهمة لا تعرف الكلل فى تأليف كتابه « الفردوس المفقود » — ورغم اعتزاله السياسة فقد كان مقصد الكثيرين من الساسة الانجليز العظام الذين يحضرون اليه للاسترشاد بارائه السياسية الثاقبة.

ويصفه لنا ريتشاردسون وقد جلس أمام باب منزله « يستمر الهواء الدافئة »، لا بسا [illegible] مشتملا حيوية، ويقال انه كتب [illegible] سامسون اجونستس » فى ذلك الوقت.

وفى سنة ١٦٦٥ انتشر الطاعون فى لندن [illegible] الوود — وكان يسكن [illegible] — أن [illegible] وسكن [illegible] وهناك فى ذلك الوقت [illegible] ملتون « فردوسه [illegible] » [illegible] هذا المديح [illegible] لقد تكلمت هنا كثيراً عن [illegible] المفقود »، ولكن ما الذى تقوله عن [illegible] المستعاد »، ولكن ملتون [illegible] [illegible] [illegible]

وبعد رجوعه الى لندن باع حقوق طبع « الفردوس المفقود » الى صامويل سيمونس نظير خمسة جنيهات يتسلمها قبيل الطبع، ومثلها بعد بيع ١٣٠٠ نسخة، ومثلها أيضا عند اعادة الطبعة الاولى، ويكون ملتون باع كتابه هذا بخمسة عشر جنيها. وبعد وفاته باعت ارملته حقوق الطبع نهائيا نظير ثمانية جنيهات — من هذا نلاحظ أن كتابه لم يعد عليه بفائدة مادية تذكر، ولكن المهم أنه جلب له الشهرة، فمدحه الشعراء والكتاب ولهج بذكره الناس عامة وخصوصا عندما حلل اديسون فى مجلته الشهيرة The Spectator الشاعر وشعره، مرشداً الناس الى كنوز الادب التى ظلت مدفونة ومختفية مدة طويلة جداً.

وفى سنة ١٦٧١ طبع كتابيه « سامسون اجونستس » و« الفردوس المستعاد » الذى يقول ملتون عنه ان يفضل الفردوس المفقود، وليس هذا رأينا.

ويحدثنا أحد معاصريه عن كيفية تمضية يومه قائلا : كان يستيقظ فى الصباح فى الساعة الرابعة فى الصيف وفى الساعة الخامسة شتاء، ويفتتح يومه بسماع فصل من الانجيل العبرى لمدة ساعة، يتركه بعدها قارئه الى نفسه لمدة ساعتين يقضيهما فى التأمل والفكر العميق، ثم يحضر قارئه أو سكرتيره فيلازمه حتى الظهر، بعد ذلك يمضى ملتون ساعة فى ترويض جسمه غالبا بالمشى، وبعد تناول غذائه يجلس الى الاورجان أو يمسك بكمانجته يعزف على الاول تارة ويلعب على الاخرى تارة أخرى، وكان ماهرا فى كليهما، وكان صوته شجيا بديعا.

وكان لا يعكر عليه صفو حياته المنزلية سوى سوء معاملة زوجته لابنتيه، وكان يزيد ملتون فى ارهاقهما بأن يكلفهما أن تقرآ له كلاما لا تفقهان منه شيئاً، وأخيراً رق قلبه فأعفاها من هذه المهمة، وأرسلهما لتتعلما شغل الابرة حتى يستطيعا — كما يقول — أن تعولا نفسيهما اذا دعت الضرورة. ورغم هذه القسوة الوالدية فان صغراها « ديبوراه » كانت لا تذكر والدها بعد موته الا بكل خير.

وفى يوليو سنة ١٦٧٤ شعر بازدياد وطأة المرض عليه ودنو أجله، فأرسل الى أخيه كريستوفر يقول : « أبى — أوصيك أن تبلغ ابنتى كل المبلغ الذى يستحق من مستر باول والد زوجتى الاولى، وبعدها... وأوصى أيضا ألا تأخذ غير هذا المبلغ، لانهما لم يطيعانى أثناء حياتى الطاعة الواجبة [illegible] وأنهما لم يكونا لمدة [illegible] الى [illegible] الاخرى فأوصى بها الى اليزابث زوجتى المحبوبة » هذه هى وصية شاعرنا الاخيرة، وقد باع قبل موته جميع كتبه بمبلغ ١٥٠٠ من الجنيهات [illegible] [illegible] [illegible]

استدعاه ربه الى جواره، ودفن فى كنيسة سان جيلس مشيعا من الاقارب والاصدقاء.

والآن وقد فرغنا من ترجمة حياة الشاعر الذى يضعه مواطنوه — ان لم يكن العالم أجمع — فى المرتبة الثانية بعد شيخ الشعراء وليم شكسبير، يجب علينا أن نتكلم قليلا على أهم مؤلفاته التى كانت سببا فى تبوئه هذا المركز السامى.

الفردوس المفقود

وهو أكبر الكتب التى ألفها ملتون إذ يقع فى اثنى عشر كتابا.

وفى الكتاب الاول يحدثنا ملتون عن جحود الانسان بنعم ربه وعدم طاعته له، مما سبب حرمانه من الفردوس الذى متعه به مدة ليست بالقصيرة. ويصف لنا الثعبان أو بمعنى آخر إبليس الذى أوعز الى الانسان بهذه المخالفة، والذى ثار هو وأعوانه من الملائكة على ربهم فطردهم أيضا من جنته. ثم يصفهم لنا ملتون وهم يحترقون بنار جهنم مبهوتين حتى اذا أفاقوا لأنفسهم كونوا منهم جيشا أطلقوا على قواده أسماء جديدة (هى بعينها أسماء أصنام الكنعانيين فيما بعد)، ثم قام ابليس فيهم خطيبا، يهدىء من سورتهم ويطمئنهم ويعدهم بعالم آخر غير هذا، فيصادف كلامه منهم مرتعا خصيبا، ويبنى له قصراً ويكون من أعوانه المخلصين مجلسا استشاريا.

وفى الكتاب الثانى يحدثنا عن انعقاد المجلس وتناقش ابليس معهم فى ضرورة شن غارة أخرى لاستعادة الجنة، وهنا اختلفت آراؤهم، وتشعبت وجهات نظرهم، فبعضهم يرغب فى الحرب وبعضهم عنها. وبينما هم فى خلافهم، يقترح إبليس اقتراحا يصادف قبولا وتعضيداً من أغلبية الاعضاء، وهو أن يختاروا من بينهم من يقوم بمهمة استكشاف هذا العالم الآخر، فنكص الكثيرون، إلا أن ابليس أعلن تطوعه للقيام بهذه المهمة الخطيرة، فصفق له الاعضاء وهتفوا، وبذلك تنفض الجلسة وينصرف الاعضاء كل الى اتجاه يخالف اتجاه الآخر مدة غياب ابليس فى رحلته... ولنرجع الى إبليس فنجده يمر على أبواب الجنة فيجدها مغلقة، ولكنه بطريقة غريبة يستطيع التأثير فى الحارس فيفتحها له، ويريه الخندق الهائل الذى يفصلها عن النار، ومع ذلك يحاول إبليس عبوره وينجح أخيرا، ويصل الى العالم الاخر الذى يبحث عنه.

وفى الكتاب الثالث يرينا ملتون الرب جالسا على عرشه وعلى يمينه ابنه، ثم يشير الاب لابنه الى ابليس يخبره بما سوف يكون من تأثيره فى الانسان، وكيف انه هو (أى الرب) لاذنب له فى ذلك لانه خلق الانسان وخلق له العقل كى يرشده الى الطريق القويم، فيمدح الابن الاب ويطلب منه أن يلهم الانسان الصواب وأن يجنبه الغلطة، فيعلن الرب بذلك اذا طهر من يفتدى الانسان ويشاركه، فيتطوع الابن لذلك ويعلن الابن تطوعه ويجمع الملائكة ويأمرهم بالاحتفال به [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

وفى الكتاب الرابع نرى ابليس يتقدم نحو جنة عدن حيث عزم على القيام بعدة مشاريع جهنمية ضد ربه وضد الانسان، وبمجرد دخوله من باب الجنة أسرع الى أعلى شجرة بها وأخذ مكانه، وهذه الشجرة هى شجرة الحياة. وهنا يقف بنا ملتون ليصف لنا الحديقة بتفصيل ممتع وأسلوب شيق، بعد ذلك يرى ابليس آدم وحواء المرة الاولى ويظهر عجبه من تناسب أعضائهما وجمال جسميهما وطريقة معيشتهما، ثم يبتسم اذ يتذكر أنه سوف يكون سبباً فى سقوطهما وهدم سعادتهما، ثم ينتقل حتى يصير قريباً منهما فيسمعهما يتحدثان عن « شجرة المعرفة » التى نهاهما الرب عن الاقتراب من ثمارها والا كان الموت جزاءها، فيرى ابليس فى هذه الشجرة الطريق الى بغيته، وينصرف مفكراً فى الطريقة التى توصله الى أن يغريهما بأكل ثمار تلك الشجرة، وفى تلك الاثناء ينزل « اوريل » ممتطياً شعاعاً من أشعة الشمس ويقابل جبرائيل — حارس أبواب الجنة — ويحذره من روح خبيثة شعر بدخولها الجنة، فيعده جبرائيل بأنه لن يألو جهداً حتى يجدها قبل الصباح، ويأتى المساء ويذهب كل من آدم وحواء الى مكان نومهما الذى يصفه لنا ملتون وصفاً مسهباً، ويجمع جبرائيل حراسه وينتخب منهم اثنين يعهد اليهما حراسة النائمين من الروح الخبيثة، وقبيل الصباح يقبضان على ابليس بجانب اذن حواء اذ كان يسر لها حلماً يوصله الى غرضه ألا وهو مخالفة أوامر الرب بأكل الثمار، وأحضره الحارسان امام جبرائيل الذى استجوبه ثم طرده من الجنة.

وفى الكتاب الخامس تستيقظ حواء مفزعة وتقص على آدم حلمها المزعج، فيهدىء هذا من روعها، ويدعوها للقيام بتأدية فريضة الصباح فيلسيان ما كان من الحلم، ثم يرسل لهما الرب رفائيل كى يحذرهما من مخالفة أوامر الخالق، ويقص عليهما تاريخ ابليس منذ كان ضمن الملائكة حتى طرده ويحذرهما منه...

وفى الكتاب السادس نجد أن رفائيل يحدثنا عن ارسال الرب لميكائيل وجبرائيل لمحاربة ابليس وأعوانه، ففى اليوم الاول كانت الحرب سجالا، وفى اليوم الثانى يظهر ابليس هو وأعوانه ومعهم آلات شيطانية للحرب، وأخيراً يرسل لهم الرب ابنه المسيح الذى يتقدم نحو جيش ابليس متمنطقاً من الله قوة ونوراً، فيأمر رجاله بعدم التحرك ويتقدم هو بعربته نحو أعدائه فيصعقهم دون أن يستطيعوا لذلك دفاعا أو مقاومة، ثم تنفتح امامهم أبواب جهنم فيلقون بأنفسهم الى التهلكة، ولا يعود منهم الا زعيمهم ابليس، أما المسيح فيعود الى والده مكللا بالنصر والفخار.

وفى الكتاب السابع يستوضح آدم رفائيل فيخبره هذا عن سبب وكيفية خلق العالم بعد طرد إبليس من الجنة، وما سوف يكون من إرسال المسيح لارشاد الناس وهداية العالم فى ستة أيام، ثم يصعد الى السماء ثانية.

وفى الكتاب الثامن يسأل آدم رفائيل بالاسئلة العميقة فيجيبه هذا عن الاجابات مبهمة [illegible]

المـــــوالد

عادات يجب القضاء عليها

للاستاذ حنفي عامر

لو أننا أحصينا الموالد التى تصرح وزارة الداخلية باقامتها كل عام فى جميع بلاد القطر لكانت فى المتوسط بنسبة مولد فى كل يوم. والسبب فى ذلك أن أولياء الله كثيرون. ومنتشرون فى أنحاء القرى والمدن بحيث لا تكاد تخلو واحدة منها منهم. وانك لتجد القرية أو المدينة تتمسك بوليها وتقدسه وتقيم له الموالد وترفعه الى مقام يقرب من الالوهية، وهذا يعيد الى ذاكرتنا بلاد اليونان القديمة. فقد كانت فى بدء نشأتها مكونة من عدة قرى لكل قرية ادارة مستقلة وحاكم مستقل، كما كان لها أيضاً إله مستقل تقوم بعبادته وتقدم له القرابين ومهمته حفظ القرية من كل سوء أو اعتداء، وكانت تنسب اليه كل خير أو شر يصيبها وكانوا يقيمون له على قمة التل معبداً يحجون اليه كل عام. واذا وازنت بين هذه الحالة وبين ما هو حادث فى القرى والمدن المصرية، ووازنت بين ما كان لآلهة اليونان من المكانة فى نفوس الشعب اليونانى القديم وما لاولياء الله فى نفوس الشعب المصرى الممثل فى بلاد الارياف، لوجدت تشابها عظيما: بل لقد تتصور انك لست فى مصر ولست فى القرن العشرين بعد الميلاد، بل فى اليونان وفى القرن العشرين قبل الميلاد. ففى مصر ـ كما كان فى اليونان القديمة ـ توجد القرى والمدن المبعثرة فى أنحاء القطر. وفى كل قرية أو مدينة ـ كما كان فى اليونان ـ يوجد ولى من الاولياء يحترمه الناس ويقدسونه. ويقدمون له القرابين من ذبائح وأطعمة وغلال ونقود. يقوم باداء القسط الوافر منها الطبقة الفقيرة المعدمة. وهؤلاء الأولياء ـ كما كانت آلهة اليونان ـ يقومون بحماية الحى أو القرية أو المدينة التى تقوم فيها أضرحتهم والدفاع عنها. وأخيرا يقوم المصريون فى البلاد والقرى باحياء الموالد السنوية لهؤلاء الاولياء ـ كما كان يقوم اليونانيون القدماء بالحج الى معابد آلهتهم فى كل عام.

وليس فى هذا شىء من المبالغة. فانك لتجد الكثيرين اذا اختصموا فى أمر من أمورهم احتكموا الى الولى فى القرية أو فى المدينة. فاذا احتاج فض النزاع الى حلف اليمين طلب أحدهم الى الآخر أن يقسم باسم الولى فاذا حلف صدق الآخر وانتهى الامر. وهذا لاعتقاده انه اذا حلف باطلا فسيتولى الولى جزاءه. وكذلك تراهم اذا اعتدى أحدهم على مال الآخر أو أصابه بأذى، يذهب الى ضريح الولى وبعد أن يقوم بكنسه يضرع اليه أن ينتقم له ممن اعتدى عليه قائلا (أنا خلتك عليه ياسيدى ...). وكذلك تراهم اذا كان لأحدهم أمر يرجو قضاءه يتوجه الى ضريح الولى ويلثم جدران الضريح بل وأعتابه ويمسح بظهره بل ويوجهه تلك الاعتاب والحوائط ويطالب اليه قضاء حاجته ويعاهده [illegible] عند التنفيذ.

غير التعليم لفئة وغير الموت لفئة أخرى يمكن بواسطتها أن يزول الاعتقاد الراسخ فى عقول أغلبية الشعب بقدرة أولياء الله على تغيير نظام الكون والتدخل فى شئون الاحياء من اثبات الحسنات ومحو السيئات وايقاع الجزاء وانزال الرحمة وتعمير البيوت وخرابها وقضاء الامور وعرقلتها. وقد يكون مقبولا أيضا أن تحتج الحكومة بأنها لا تستطيع مهما حاولت أن تفعل فى الامر شيئاً. لكن الذى لا نقبله ولا تستطيع عقولنا أن تسيغه، ان الحكومة لا يمكنها مهما حاولت أيضا أن تفعل شيئاً فى أمر الموالد التى تقام لهؤلاء الاولياء على مدار السنة، والتى تصرح هى باقامتها وتحدد الايام لكل مولد من الموالد وتحدد أيضا مقدار هذه الايام التى تختلف قلة وكثرة على حسب ما تراه من شهرة الولى وذيوع صيته فى القرى أو المدينة التى يهيمن على شئونها.

الحكومة تعرف تماما أن الموالد ليست الا خرافات وبدع وعادات ضارة يجب القضاء عليها. وتعرف كذلك ان الاولياء الذين تقام لهم تلك المنازل ليسوا الا افرادا عاديين كبقية خلق الله لا يملكون من أمر الناس شيئاً بل ولا يملكون هم من أمرهم أمام الله شيئاً. وتعرف فوق هذا أن ما أصبح يقع فى تلك الموالد من المفاسد وما يرتكب فيها من الموبقات مما يجب أن تتخذ بازائه اجراء حاسما مهما قيل فيه بأنه مصادرة للعقائد والشعور وللعادات. واذا نحن أردنا أن نعرف الموالد قلنا إنها انتحار للفضيلة وهى فى الواقع أشد من ذلك. ولكننا نعجز عن الاتيان بالوصف الصحيح. فالموالد وعلى الاخص فى المدن وما يجرى فيها ليست الا صوراً متنوعة للرذائل الدينية والاخلاقية والاجتماعية وصوراً صادقة للنقص الخلقى الكامن فى نفس مجموعة كبيرة من الشعب تستثيره وتساعده على اذاعة تلك الموالد.

أنظر الى آثار الموالد فى مسجد الولى تره قد انقلب من مكان معد للصلاة وعبادة الله الى مكان قذر تتصاعد منه الروائح الكريهة ويموج بفئات الراقصين. وهم الذين يسمون خطأ بالذاكرين، والمغنين وبفئات اللصوص والنشالين والمجرمين والقوادين. كل من هؤلاء يسعى وراء غرض دنىء لا يجد أنسب من أيام الموالد لتحقيقه، ولا يجد أنسب من هذا المكان الذى لا يكاد يحوى بين فئاته من يصلح لان يكون هدفا لمآربه.

أنظر الى آثارها فى القهاوى وعلى الاخص الافرنجية منها تراها قد انقلبت الى محلات للغناء والرقص الخليع وتقوم به العاهرات ومن بين تلك الراقصات فتيات لا يزيد سنهن على الثالث عشر عاما يحيط بهن بعض من الاخلاق لهم من الطلبة والموظفين والعاطلين ومنهم سكارى وكلهم يحاول أن تكون له الحظوة، وبين كل آونة وأخرى تقوم المعارك بينهم لان أحدهم [illegible] الاخر يحاول

خجلا ومما لا يشجعنا على ان نشعر بأن لنا آدابا أو قومية.

انظر الى آثارها فى الحارات والازقة القريبة من ضريح الولى، تر على أبعاد متفاوتة حلقات للذكر على نغمات الموسيقى الوترية. ومن قبل ذلك بسنوات لم نكن نرى للموسيقى أثراً فى الذكر، ولكن يظهر ان ادخالها كان الدافع اليه واحداً من أسباب ثلاثة. (١) اما أن يكون هؤلاء «الذكيرة» قد سمعوا بما أشيع من سنوات عن عزم الغازى مصطفى كمال على ادخال الموسيقى فى أماكن العبادة تشبهاً بما يجرى فى الكنائس. وذلك لما لها من التأثير فى النفوس. فاستحسنوا الفكرة فجربوها فاسفرت التجربة عن النجاح. اذ جعلت الذاكر منهم يرقص ساعات متوالية ويجهد صوته حتى يبح من غير أن يشعر بأى تعب أو ملل. فنشروها فى جميع حلقات الذكر خارج المساجد. وربما يستطيعون فى المستقبل أن يدخلوها فى الجوامع أيضا. وبذلك يكون مصطفى كمال قد حاول تنفيذ الفكرة فأخفق فى تركيا ولكن نجح فى مصر (٢) واما أن تكون فئات الذكيرة قد تهذب ذوقهم الفنى وأصبحوا من أنصار الجديد فعمدوا الى الاصلاح واستبدلوا بالذكر القديم الجاف الذكر الحديث الذى قوامه الموسيقى. وسوف يكون قوامه «الاوركسترا» فى المستقبل القريب. (٣) واما أن يكون الاولياء قد ألهموهم أن الملائكة أصبحوا فنيين وانهم لم يقيدوا لهم حسنات الذكر إلا اذا كان ممزوجا بشىء من الطرب، فأدخلوا الموسيقى ارضاء للاولياء والملائكة. واذا قال قائل بأن هذه تعليلات سخيفة. فأنا أعترف معه بأنها سخيفة الى حد ما. ولكن أسخف منها الذكر على نغمات الموسيقى. وأسخف من هذا وذاك أن تساعد الحكومة على نشر هذه العادات بسكوتها. كذلك نجد فى هذه الحارات فضلا عن حلقات الذكر حلقات المداحين بدفوفهم وحلقات الحواة والقهاوى المتنقلة المنصوبة على الارض تديرها فئات المتوهين من رجال ونساء. وفى تلك القهاوى يدخن الحشيش علناً وتحت سمع وبصر رجال البوليس. وعلى الرغم من كل هذه الفوضى، لا يستطيع واحد من السكان أن يشكو. واذا حاول ذلك فلن يجد من يستمع الى شكواه لان المولد مصرح باقامته من الحكومة رسمياً فليس من سبيل الى الغاء الأمر.

انظر الى آثارها فى الشوارع والميادين المحيطة بضريح الولى، تراها مكتظة بجماهير قادمة من مختلف الجهات بعضها يعترض النساء فى طريقهن ولا يأبى من مغازلتهن بألفاظ بذيئة وبعضها يقطع الطريق على المسنين من الرجال يداعبونهم بمداعبة ثقيلة جارحة، فاذا حاول أحدهم تأنيبه كان جزاؤه الأذى. وبعضها تخصص لاقتناص الغلمان وافساد أخلاقهم طوعا أو كرها، وبعضها يقيم قطاراً بأن يمسك كل منهم بالآخر من طرف جلبابه ويسيرون حتى اذا مرا بامرأة أو كهلا التفوا حولها وقذفوا بها من ضروب الاستهزاء والسخرية ما يندى له [illegible] وبعضها يقف مترصدا [illegible]

وذلك تبعا لمهارته وعبقريته فى هذا الفن. وبعضها وهم الباعة ينتحون ناحية من الميدان ويقفون صفوفا بعضها وراء بعض يعرضون مبيعاتهم من حلوى وأطعمة ما يكفى لان ينشر وباء يهلك أرواحا عديدة. فهى مبيعات فاسدة معرضة للذباب والاتربة ولمس الايدى. وهذا من غير شك طريق صالح لنشر العدوى وتفشى الاوبئة القتالة.

انظر الى آثارها فوق المقابر وداخلها، اذا كان ضريح الولى قريباً منها أو فى وسطها كضريح (زين العابدين) مثلا، تر جميع المفاسد التى ذكرناها ترتكب فوق رفات الموتى وتقض مثواهم فيستغيثون ولا مغيث. وافظع من هذا أن تنقلب القبور المهجورة أماكن للدعارة ولتعاطى المخدرات ولما هو شر منهما.

هذه هى الموالد، وهذا هو وصف مختصر لما يجرى فيها. وهو ما يسمى باقامة الشعائر الدينية الاسلامية. على اننا لسنا بهذا نقصد الدفاع عن الدين ولا عن الاسلام. فأولى به مشايخ الاسلام وأصحاب الفضيلة العلماء والشيوخ ومن على شاكلتهم ممن يهمهم أمر الدين وأمر الاسلام، وممن يعتبرون كل مناد بالاصلاح مارقا وخارجا على الدين وعلى الاسلام. لكننا أردنا أن نبين أن هذه العقائد الخرافية وهى اقامة الموالد ليست من مقومات الدين ولا من صالح الاسلام فى شىء. بل هى بالعكس هادمة لهما مضعفة للايمان بهما ومدعاة للتنديد والسخرية منهما.

ما هؤلاء الاولياء الذين تقام لهم الموالد التى تجنى على الشعب فى أخلاقه وأفكاره ودينه وصحته؟ هم كما قلنا اناس لا يملكون من أمر الناس شيئاً بل ولا يملكون هم من أمر أنفسهم شيئاً. هم هادئون فى قبورهم لا يريدون ازعاجا. هم الذين قال الله عنهم (ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وما أظن ان اقامة الموالد لهم تؤمن خوفهم وتزيل حزنهم. كما لا أظن ان عدم اقامة تلك الموالد تسبب لهم الخوف والحزن. واذاً فلماذا لا يقضى على هذه العادات الخطرة التى تحلل من قيودها جميع الشعوب المتمدنة أو الآخذة فى التمدن. والتى هى منبع الفساد الخلقى والدينى. والتى هى فوق ذلك مدعاة لاحتقار الاجانب لنا ومدعاة لتشكيكنا فى الدين وفى أمر القائمين به.

انى اذكر قصة حكاها لى أحد اصدقائى من خمس سنوات. لا أخجل من ذكرها حتى يتبين لاصحاب الفضيلة رؤساء الدين كيف أن تلك الموالد مدعاة لاحتقار الاجانب لنا. وهذه القصة هى أنه فى «الليلة الكبيرة» لمولد السيدة زينب فى تلك السنة تصادف أن أراد بعض السائحين الامريكيين مشاهدة هذا المولد ليعرفوا من خلاله شيئاً عن عادات المصريين وأخلاقهم وقد ذهبوا بالفعل الى هناك مصطحبين معهم زوجاتهم فلم يكن من الشعب المصرى الكريم الا ان اتبع السيدات قرصا وغمزا فى مواضع العفاف منهم. وهذه ظاهرة عادية فى الموالد على الاطلاق. وما كان يجدى اسلوب المزوج بالاستعطاف [illegible] البكر [illegible] انقاذ [illegible]

[illegible] تحول القرص عليهم وظلوا يحملونه [illegible] من وسط الزحام وهم يقولون: [illegible] وحوش». وكلمة وحوش هى [illegible] السياسى للشعوب التى يبيح القانون [illegible] الغربية استعمارها وحكمها حكما مطلقا [illegible] لا نستطيع تعليل سكوت رجال الدين [illegible] بمطالبة بابطال الموالد الا بأنهم راضون [illegible] من الاثام، أو بأنهم يصيبون خيرا [illegible] ولا نستطيع أن نعلل سكوت [illegible] الا بخوفها أن تتهم بمصادرة [illegible] الدينية، وهذا من علمها [illegible] البلاد. وبأنها ليست من الدين [illegible] فى شىء. لهذا نعرض على دولة [illegible]

الى سعادة رسل باشا حكمدار البوليس متوسلين اليه أن يعمل على تطهير ديننا من المفاسد حتى يضم الى حسناته التى أداها للمسلمين بمنعه عدم الميت بالجبانات، والتى يؤديها للمصريين أجمع، بمحاربته داء تعاطى المخدرات السامة، حسنة أخرى لا تقل عنهما وهى ابطال اقامة الموالد عامة، والاستعاضة عنها بتلاوة القرآن فى أضرحة الاولياء يوم مولدهم كما يجرى فى ليلة الاسراء. نطلب اليه هذا ونرجوه أن لا يحجم عن أداء هذه النعمة للمسلمين خوف اتهامه بمصادرة عاداتهم وعقائدهم. فنحن نؤيده، ونحن نعلم أنه عمل ويعمل للدين وللاسلام، أكثر ممن ينتسبون اليه.

[illegible]

فاوست

(بقية المنشور على صفحة ١٩)

مفيستوفيليس

هانحن الآن على اطراف ذكائنا حيث تتزلزلون أنتم يامعشر البشر الى حالة الجنون والتهور. لماذا اذاً كنت تبحث عن معاشرتى مادمت غير قادر على تحملها؟ أتطير. ؟ ماذا تريد .... نلم بأنفسنا اليك أم تدفع بنفسك الينا؟

فاوست

لا تضم أنيابك المسوسة على! إذ أبى أكاد أتقيأ! أيتها الروح العظيمة المعظمة! يامن تقرئين فى وتعلمين أسرار روحى ونفسى.. لماذا كبلتنى وقيدتنى بهذا الرفيق الخبيث الذى يسمن من جلب الضرر للناس وإيقاع الشر بهم والذى يشرب «الخراب» على اعتبار انه شراب منعش!؟

مفيستوفيليس

ألا تريد أن تطير؟

فاوست

خلصها.. وإلا فلينزل عليك الويل والمقط فوقك أخوف اللعنات وليبق كل ذلك عليك آلاف السنين!

مفيستوفيليس

انى لا أستطيع أن أفك عقدة المنتقم! كذلك لا أقدر أن أرجم المزلاج!.. أخلصها..؟ ولكن من الذى أودى بها الى الخراب أنا أم أنت؟

(ينظر حوله فى هيجان وثورة)

فاوست

إيه أيها الوحش! فلينزل عليك كل ما فى العالم من قتل وموت!.. هيا قدنى الى هناك.. انى آمرك.. هيا خلصها وأطلق سراحها.

مفيستوفيليس

سأقودك ولكن ماذا أستطيع أن افعل.. اسمع.. أتظن أن لى قوة فى السماء، فى الارض، رغم ذلك فانى سأرفع حواس السجان الى السحاب، وما عليك إلا أن تأخذ المفاتيح وتقودها بيد رجل.. وسأراقبك.. هيا فالجياد السحرية جاهزة وسأحملك اليها وهذا هو كل ما استطيع أن أفعل.

فاوست

اذاً هيا.. هيا الى هناك!

مرجريت فى السجن

وهكذا يحمل الشيطان فاوست الى حيث توجد مرجريت.

فاوست

واقفا أمام بوابة حديدية صغيرة ومعه عنقود من المفاتيح وفى يده مصباح.

مالى قد عمتنى رعشة طويلة غير عادية... ماويلات البشر تتدفق على!؟

هنا... فى تلك الجدران الرطبة سجنوك. ان كل ما ارتكبته لم يكن سوى حلم لذيذ. ولكن هل تمنعها عن أن تذهب؟ ماذا... اتخاف ترى الى ويلها؟ هيا... ان ترددك يبطىء فى موتها.

يمسك القفل ويسمع غناءا فى الداخل

أمى العاهرة

خلفتنى الموت!

وابى الخبيث

قد التهمنى!

وعظامى جميعاً

وضعتها اختى الصغيرة

فى ابرد مكان!

وبعدئذ التفت الى طائر جميل..

ايها الطائر

طر بعيدا. طر بعيداً.

فاوست وهو يخلع القفل

انها لا تحلم الآن ان حبيبها يصغى الى صوتها عن قرب.. وانه يسمع صرير السلاسل وخشخشة التبن الذى تنام عليه.

يدخل

مرجريت متخوفة فوق فراشها الحقير

ويل ويل اهاهم قادمون.. ايها الموت الرائع!

فاوست بصوت منخفض

صه! صه! ما أتيت الا لاطلق سراحك وأفك قيودك. ايتها العزيزة.

مرجريت

متذللة تحت قدميه

فلتكن عندك رحمة اذا كنت انسانا تتردد فى صدرك انفاس.

فاوست

لو تصرخين، يستيقظ الحراس من نعاسهم، يمسك السلاسل بقصد فكها

مرجريت

جاثية على ركبتها

متى صار لك هذا الحق؟ من اين جئت بهذه القوة فتقودنى تحت جنح الليل.. أيها الرجل! اشفق.. دعنى اعيش.. انتظر على الاقل حتى يدق جرس الصباح.

تقوم على قدميها

لقد انتهى كل شىء! ومازلت صغيرة جدا.. ومع ذلك فانى ذاهبة الى الموت.. لقد كنت حسناء.. وكان هذا سبب خرابى!

فاوست

بصوت مرتفع

جريتشان... جريتشان!

مرجريت

صاغية بانتباه

هذا حبيبى الذى يناديني!

تقف فتسقط السلاسل

هذا انت.. اذن فقد صرت طليقة. وسأرى الشارع من جديد.. الشارع الذى التقينا فيه المرة الاولى والذى كنت انتظرك فيه انا ومارتا بجانب الحديقة ذات الازهار البهيجة.

فاوست

يجرها على الذهاب

تعالى معى! تعالى!

مرجريت

وهل ستضمنى الى صدرك ثانية؟ قبلنى! اترانى فى هذه الحال ولا ترتعش. أم انك تجهل تلك التى تنقذ... انك تدعونى الى التفكير!

فاوست

تعالى تعالى فالليل العميق يتلاشى دون أن نشعر.

مرجريت

لقد قتلت أمى بجنونى.. واغرقت طفلى فى أعمق مكان. طفلى الذى كان موهوبا لك ولى. وكان يجب أن نحميه...

اعطنى يدك.. لا! أكد انى لست احلم!! اعطنى يدك. يدك العزيزة.. الهى. لكنها مبتلة.. امسحها انها تقطر دماء الهى ماذا فعلت؟

فاوست

دعى الماضى الميت يدفن موتاه. فبكل كلمة الآن معناها عندى الموت

مرجريت

لا. بل يجب أن تعيش! فلك عمل اذ سأخبرك كيف يكون ترتيب المقبرة... ان الوقت ضيق. لكنهم سيكونون شغلك فى الغد... كذا. تبقى أمى فى أحسن مكان! وأما أخى فيوضعم بجانبها وأما أنا فقليل من الفضاء وليس يهمنا أن يكون متسعاً جداً. وليوضع طفلى الصغير فوق صدرى من جهة اليمين إذ أنى لا أريد سواه بقربى... ثم كان جميلا أن أبقى إلى جانبك، لكنى الآن لست أعرف ماذا أنا فاعلة! كنت أحسبنى اذ أقترب منك أما الآن فيجب أن أصارع كما لو كنت ستهملنى... لكنك تبدو للناظر أجمل وأطيب.

فاوست

أوه. اذن تعالى اذا كنت تعتبريننى كما قرأين.

مرجريت

ربما لا أذهب. كما لا أستطيع أن يكون لى أمل فى أكثر من هذا. ماذا يجدى الهرب مادموا يحاصروننى بعصابتهم انيا ذهبت؟

فاوست

الى أن [illegible]

مرجريت

لا. بل أسرع وانقذ طفلك المسكين هيا من الطريق الذى يحيط بالجدول واعبر الجسر وسر فى الغابة فهناك جهة الشمال تجده بجانب لوح من الخشب فى البركة. انقذه فهو مازال يكافح. هيا لتجده وانقذه.

فاوست

ولكن فلانقذ نفسك أولا. انها خطوة واحدة. بعدها تصيرين طليقة وحرة. هيا ففى هذا الوقت لا ينفع الرجاء أو التفكير. وسأحملك سواء أكان فى ذلك غدر بك أم غيرذلك لأنى أحبك وأحب أن أنقذك.

مرجريت

ابعد يديك. لا تمسكنى مسكة القاتل هذه!

فاوست

عزيزتى. محبوبتى. ان الفجر يلوح والنهار يبزغ والوقت ثمين.

مرجريت

النهار! نعم. انه النهار أخذ فى الظهور. وهاهو اليوم الاخير يكافح من أجلى! وكان يجب أن يكون يوم زفافى! اصغ... لا تخبر أحداً انك كنت مع مرجريتشان... ايه أيها الأم... لقد تصادف ثالثة نهار مرة أخرى. لكننا لن نلتقى حيث رقصنا.. فيف. فالشوارع تموج بزحام من الناس. وأجراس الموت تدق، انهم يضربون أعناقنا فى بالسياط ويقيدوننى ويجرونى الى دكان العقاب.

فاوست

كنت أتمنى ان لا أكون قد ولدت [illegible]

مفيستوفيليس

(يظهر من الخلف)

الى فوق والا فانت ضائع وخاسر! ان الفجر يلوح وهاهى جيادى فى الانتظار.

مرجريت

ماهذا...؟ اوه. هو. هو.. اطردوه ماذا يفعل هنا.. ان هذه الارض مقدسة.. انا.. انه يبحث عنى!

فاوست

أنت ستعيشين

مرجريت

الحكم لله. انى أضع نفسى بين يديك

مفيستوفيليس

(لفاوست)

تعال. والا تركتك معها تحت رحمة الاقدار.

مرجريت

انى لك يا أبى. انقذنى أيتها الملائكة وأنت أيتها الفرقة المقدسة عسكرى حولى واحمينى. انى استسلم لك.. تعذبنى انى أرتعش اذا رأيتك.

مفيستوفيليس

انها محكوم عليها

صوت من فوق

انها مطلقة السراح!

مفيستوفيليس

(لفاوست)

الى هنا..!

(يختفى مع فاوست)

(صوت متلاش من الداخل)

هنريخ! هنريخ!

وهكذا تنتهى هذه المأساة الخالدة

زكريا ضيف



قصة الاسبوع

زلة شباب

للكاتب الفرنسى الاشهر فرانسوا كوبيه

— ٢ —

أنفق هنرى لوك طفولته وأعوام حداثته الاولى فى غمار من الشدة . وكان تلميذاً مجانياً فى كلية هنرى الرابع ينال كل الجوائز ولا يحصل الا على عشرة قلوس فى الاسبوع لمسراته الشخصية . ولم تكن أمه ، وهى امرأة حازمة ، تسعى قط الى لقائه فى بهو الزيارة حتى لا تحرج ثياب حدادها الذابلة التى تنم عن فقر وضعة بزينات الزائرات الاخريات . وكان أثناء العطلات يبقى فى باريس الى جانبها فى مسكنهما الصغير النظيف الحزين فى نهاية شارع فوجيرار ، وهنالك ينفق كل وقته فى مراجعة كتبه كما يعمل فى المدرسة . وقد استطاع بجده وذكائه أن يتقدم على اقرانه فعلا ، وان يغدو أول فرقته الجديدة ، وكان أساتذته يعجبون بتفوقه ولكن زملاءه كانوا يولونه قليلا من العطف من جراء تحفظه وصمته . وهذا الصراع المدرسى والمنافسات بين التلاميذ [illegible] عادة . ولكن هذه الطريقة تثير فى بعض الطبائع عواطف الطمع والكبرياء . وفى السابعة عشرة ألفى هنرى لوك نفسه يتيما وحيدا فى العالم وفى جيبه شهادته . ولكنه استقبل هذا البلاء الشظف فى الحياة بشجاعة وجلد ، وعكف على تحصيل قوته الضئيل من اعطاء بعض دروس [illegible] آلام الجوع ، والتكب على القراءة فى المكاتب العامة يشحن ذهنه بنظريات [illegible] غريزة [illegible] الانتقام [illegible] . وكان قلما يقوم بصلواته [illegible] الثانية عشرة ملحداً متطرفاً . وكان فى ميدان السياسة ، يحلم بانشاء دولة شرعية ، [illegible] الاختلاف عن ديموقراطيتنا [illegible] التى لا يستطيع أحد أن يغنم فيها الا بكفايته وقيمته الشخصية . بيد أنه كان يستحل لنفسه [illegible] كما يفعل جميع الطالبين ، [illegible] ولكن [illegible] فى امتحان [illegible] فى نفسه [illegible] فأخذت أهواء الشباب تتلاطم [illegible] أوقات فراغه ، لانه رغم [illegible] الاهواء [illegible]

عواطف عدو كان يخمدها بادىء بدء ظرف الكونت ورقته .

جاء هنرى لوك منذ الساعة الثامنة الى شارع رجار ، وجلس فى غرفة الطعام يشتغل أمام مائدة صغيرة . ولكنه كان يدخل من وقت لآخر الى غرفة الكونت ليأخذ أو يعيد سجلا أو ملفا . وكان الكونت قد ترك بابها مفتوحا وأذن لسكرتيره اذنا مطلقاً بأن يجول خلال المسكن دون حرج حتى أمام الزائرين . وكان زائروه كثرة . وكان الحاجب جسبار يجلسهم فى غرفة الزيارة على اريكتين عتيقتين ويقدمهم بالتعاقب كل بدوره . وكان راهباً يعقب راهبة ، أو يختلط الندوة العجائز بشيوخ ذوى أطمار أو بامهات يحملن وليداً أو يتسندن [illegible] . وكان الكونت يعطى كلا منهم [illegible] قصيرة يسمع هنرى لوك فى نهايتها دائما رنينا خفيفاً لقطع الذهب . هذا الى ان الاوراق التى كان ينظمها كانت تكشف له دائماً عن وفرة الاحسان الذى يبذله الكونت ومنها مكاتبات مع المستشفيات والملاجىء والمكاتب الخيرية ، وجمعيات الرعاية ، والمعاهد الخيرية من كل ضرب ، ثم الرسائل الخاصة التى يلفت بها نظره الى المصائب الخاصة ، وكلها مذيلة بخطه بما يفيد انه ذهب بنفسه لاول دعوة لرؤية المنكوبين الذين وردت بشأنهم وقدم اليهم الاسعاف السريع ، ثم ميزانيته ، وهى تدل على ان الكونت لا يخصص لنفقاته الشخصية عشر دخله الذى يبلغ خمسين الف فرنك .

وكان هذا الاحسان الذى لا ينضب معينه ، هذا الخير الذى لا تفتر همته ، والذى كان منظره وامثلته التى تمثل دائماً أمام عينى هنرى لوك تثير منه بالرغم منه تقديره بل اعجابه . بيد ان عواطفه العصبية والمادية كانت تقاوم هذه العاطفة وتملى عليه أن يحط من قدرة هذا الشريف ورده ، وكان كثيراً ما يقول لنفسه :

«بحت الاخدم . ولئن كان المسيو دى فندى يكتفى من دخله بمرتب [illegible] ويعيش كاصغر الساعين ، فذلك لانه يشترى فى كل عام [illegible] الجنة [illegible] اربعين الف فرنك [illegible]

كثيراً من قدره . واذا نظرنا اليه من هذه الوجهة ، كانت صدقاته حزما ليس غير ، واقتصاداً حكيما . ومع ذلك فنفرض انه لا يؤمن بالله ولا يؤمل ثواب الجنة ، ومع ذلك لا يحجم عن بذل كل ما ملكت يداه فى سبيل الخير . اذاً ، لانه يرى فى ذلك لذة لا تقدر ، ولانه يستمرىء الاحسان كما يستمرىء الوصل غيره . فهلا ليس ذلك الذى يعشق الحسان الذى يشغف بالترف بمجرم ، وكما أنه يهتم رخاء عمال الجواهر والثياب ، فكذلك المسيو دى فندى ، يدعم رخاء الصيادلة بما يبتاع من أدوية لعائلة المساكين والمرضى . والفرق بين الحالتين أن لذته أميل الى ناحية العقل من لذة العاشق ، ولكنها مع ذلك لذة . واذاً فلا مجال للاعجاب . ولنذهب الى أبعد من ذلك فنقول ان قانون الاختيار الطبيعى هو الافضل . ألا يكون المسيو دى فندى عندئذ آثما بكونه يؤخر الراحة الابدية لاولئك المصابين وكونه يشجع تناسل أولئك السقام المشوهين ؟ اعرف جيداً ان النظريات القاسية المتعلقة بتنازع البقاء لا تتفق اطلاقا مع احلامنا فى المساواة والمستوى الاجتماعى ..»

بمثل هذه السفسطة والسخرية كان هنرى لوك يقاوم العطف الذى كان يشعر به رغما عنه نحو فضائل المسيو دى فندى . ولعمر الحق لقد كان يتمنى أن يكشف وصمة فى هذا النقاء ، وعيبا فى ذلك الكمال .

ففى ذات صباح ألفى غرفة الزيارة حافلة بالساعين ، ولما دخل غرفة الطعام قال له جسبار : «ان سيدى الكونت قد انحرف حقاً عن جادة الصواب ، فانه لم يبت هنا الليلة أيضاً ..» .

آه . أجل قضى المسيو دى فندى ليلته فى الخارج . وكان معتاداً على ذلك . ضحك هنرى لوك لذلك سراً وفى سخرية ، وشعر بغبطة خبيثة . أجل كان رجل البر يقضى بعض لياليه فى الخارج ، وكانت له كغيره جوانب ضعف رقيقة . ومن يدرى ! فقد تكون له أسرة صغيرة فى المدينة لا يبوح بسرها حتى لا يلوك الناس ذكره فهو يخفى أمر زلته الرقيقة . فانزع ثوب الورع تكشف المنافق .

ودخل المسيو دى فندى فجأة وهو محمر العينين مختل الثياب ، فقطع تأملات هنرى لوك الذى قال لنفسه بخبث : «ان السيد ذابل نوعا . آه»

ولكن الكونت جذبه الى غرفته وهو يقول : «عم صباحا ياولدى العزيز . هيا اسرع »

ثم فتح درج مكتبه ، وكان من آثار اسرافه القديم أنه لا يقفله بالمفتاح ، ثم قال له بصوت مضطرب : «خذ هذه الجنيهات الثلاثة أيها الصديق واسرع الى مدام جيرو فى شارع مولان دى بير فى بلبنالس ، فقد توفى ولدها وهو غلام بديع فى الخامسة عشرة ، بين ذراعى منذ ساعة فقط . آه ، يا للزوجة المسكينة ! لقد أنفقت ليلى أمام فراشه المحتضر ، وامه تكاد تجن حزناً . وهنالك الزوجين أيضاً . فاسرع يا بنى العزيز » .

وهكذا كان المسيو دى فندى ينفق ليالى سروره .

ومنذئذ عزم أخرى أن هنرى لوك [illegible]

السيجار لم يكد ينفخ وصاح به فى لهجة مزوجة مضحكة معا : «خذها ولا ترفض ايها بعد الآن فى شرك الاغراء ، ولقد أقسمت بشرف ألا أدخن بعد .. أجل خذها . انى أعرف أنك لا تدخن . ولكن خذها لاصدقائك ، أما أنا فان أحرق فى حياتى سيجاراً بعد . واذا عاهدت نفسى على ذلك مذ رأيته بالامس عند هذه المرأة المنكودة .. تصور أرملة لها ولدان تربيهما ، وليس لديها ما تعيش منه غير الخياطة من الصباح الى المساء ، وكل ما تكسبه خمسة وسبعون فلساً ، أعنى بالضبط ثمن واحد من هذه السيجارات . وأما أنا فأدخن منها خمسة أو ستة فى اليوم . خذها . خذها ، فان تراها بعد هنا . وأحمد الله على ذلك» .

وكان لوك يقول لنفسه : أيفعل ذلك ملحد مثله أيضا بطولة ، بيد أنه لن يستطيع صبراً .

على أن المسيو دى فندى ، بعد أسبوعين من المعاناة كان فيها يحرك يديه العصبيتين دائما ، استطاع أن يتغلب على نفسه ، وأن يضحى بلذته الاخيرة فى سبيل الفقراء .

وهكذا كان هنرى لوك فى كل يوم يقلل من غمطه واتهامه لمخدومه ، وتأسره خلاله الودية الابوية ، حتى حدثت أزمة فى حياة الفتى .

ذلك انه استطاع بمرتبه وما يكسبه من بعض الدروس أن يفى بحاجات نفسه . وقد غدا أقل جفاء مذ غدا أقل بؤساً ، فلم يعد كما كان فى الماضى يباعد رفاقه فى المدرسة ، بل عاد فتقرب الى بعضهم أو اصر الصداقة المقطوعة ، وأخذ معهم يغشى المقاهى ونوادى اللهو . وكان معظمهم من أسر ميسورة ، ينفقون المال فى بسطة فكان هنرى لوك ، وهو بطبيعته متكبر معتز بنفسه ، يجاريهم ويسابقهم فى الانفاق ، وينفق فى ليلة واحدة ما يكسبه فى اسبوع كامل . وكان يعالج هذا الاسراف أولا بالانقطاع أياما يكتفى فيها بالضرورى . ولكن الامور سارت فيما بعد .

ان الكبر والزهو لا يتلازمان دائما . وقد يكون التكبر مشروعا أحيانا ، بل نبيلا ، أما الزهو فهو دائما وضيع حقير ، ولكنهما كانا يمتزجان فى شخصية كهنرى لوك لا تقوم على قاعدة أخلاقية . فان الفتى المغرور يتوهم انه خصم للعالم ، وان لاصغر أعماله أهمية كبرى . وقد كانت العزة تدفع هنرى لوك الى مجاراة رفاقه ، والى انفاق ما لم يستطعه ، فاستدان ، ثم تفاقم الضيق من حوله .

ثم كان شبابه يطالب بحقوقه ، ويضطرم بعنف بعد عهد البؤس والحرمان الذى جاءه فكان يعيش عندئذ فى جماعة من المرحين الماجنين الذين يتمتعون بشبابهم [illegible] بلا ريب ولكن بأجمع ، فكان فى ذلك قدوة دائمة . والغرام مثير هنرى لوك ، وكان بوسعه أن يظهر فى المقهى الذى اعتاد أن يمضى فيه سهراته مع رفاقه الاحداث لانه كان [illegible] ذكاء وظرفا ، وكان تفوقه أمراً مسلما به من الجميع [illegible] وكان يستطيع دائما أن [illegible] يستدين [illegible]

الانجاب والفرار ، وكان يأنس لذلك سخطا ورقة ، وتجيش أهواؤه اذا ما خلا الى نفسه ، وتحزه أشنع ضروب البغض والحقد على الاغنياء والسعداء .

وكان فى غدوات هذه السهرات ، حينما ينظم أوراق المسيو دى فندى ، يراه يستخرج النقود للصدقات من درج يغص بالذهب والاوراق النقدية ، فتملكه لذلك ثورة من الغيظ ويقول لنفسه :

«وهل ترانى مع ذلك أعجب به ؟ ولماذا ؟ لانه يستطيع أن يعيش كما يهوى . ان الفضيلة ليست إلا كلمة جوفاء . والحقيقة هى ان الرجل يبحث عن سعادته ما استطاع ، ويغترفها أينما يجدها ، ومن فاز منها بالقليل أنما وأنى كان ذلك ، فهو رجل ممتاز ، وان السيد لرجل أنانى ، فهو لا يلاحظ قط أن الضجر ينهشنى ، وانى أذوب حياء وحشمة ، ولا ينفحنى بحفنة من الذهب ويقول لى : اذهب فاله وامرح ! أعجب به مع ذلك ، ألا تبا !

وكان الفتى المنكود ، هنالك ، فاذا بلقاء رأيه ، يلقى بحياته وأفكاره الى هاوية سحيقة من الاضطراب .

لها بقية (ع)

كلمات خالدة

قال يحدثها والدمع ملء جفونه ، وهى لاهية عنه تلعب أناملها العاجية بأطراف وشاحها الابيض الناصع .

— يا ابنة السماء أريد أن أهمس فى أذنك كلمة فهل تسمعين ؟

— كأنك يا هذا درستها وسرائر نفسك قرأتها فهل عندك اليوم شيء جديد ؟

— يا ابنة السماء العين التى نظرت بها اليك ليلة السهر ، والقلب الذى وضعته بين يديك يوم المطر .

— ذلك ما عرفت وسرنى منه دليل حبك فهل تريد شيئاً آخر ؟

— أريد كلمة فيها شيء من الأمل كلما أستعين بها فى التغلب على مصاعب الحياة .

— لا تحاول معرفة سرائرى !

— [illegible] هل تذكرين مواقف الأمس ويوم الربيع . يوم أنكرت فى سبيلك نفسى [illegible] والورد من حوله الشهود .

— [illegible] ذلك ولا أنساه .

— [illegible] تذكرين وتبخلين بكلمة حب أريدها !!

— لا تحاول مرة ثانية الاطلاع على سرائرى [illegible] الى الأبد .

— [illegible] اذهب الآن ولن أعود فاذكرى [illegible] الكلمة الخالدة :

— [illegible] اذا أحببتك هربت منك ، [illegible]

عن الهندية [illegible]

الاسكندر الاكبر

(بقية المنشور على صفحة ١٧)

الاسكندر لم يكن بدنيا وأنه كان على جانب من الوسامة .. وقد ذهب البعض مذاهب شتى فى تعليل التسمية الشائعة عنه بذى القرنين واختلف فيها الكثيرون فمنهم من قال إنه إنما سمى كذلك لأن جبهته كانت فيها نتوءاً كالقرنين ومنهم من قال أيضاً بأنه كان يلبس خوذة بها قرنان -- وقد يكون قولا راجعا إلى حدما -- ومنهم من قال أيضاً وهو الأرجح عندى بأنه أنما سمى كذلك لأنه ملك قرنى الشمس وهما الشرق والغرب

والمعروف عن الاسكندر كذلك أنه لم يرسل لحيته كأهل جيله بل كان حليقاً ..

ويجمل بى قبل أن أتم هذا البحث أن ألمح بذلك الأثر العظيم الذى أخلفته حروب الاسكندر الاكبر من المجد لمقدونيا وأن حروبه كانت من أقوى الوسائل على انتشار الآداب اليونانية وثقافتها الى نواحى المعمورة . فحروب الاسكندر فى الحق انما كانت حروبا فنية علمية — نسبيا — بجانب حروب الفرس التى كشف انتصار الاسكندر عليهم مقدار الفوضى الحربية — مع كثرة العدد — فى الجيوش الفارسية والضعف المعنوى فى كيان تلك الجيوش حتى تمكن الاسكندر بجيشه النشيط الصغير من هزيمتها كما تمكن نابليون من هزيمة النمسا بجيوشها العظيمة وأن الافكار التى كانت تجول فى ذهن الاسكندر — ذلك الرجل الذى كان يعجب بأشيل البطل الاغريقى والذى كان نابليون يترسم خطاه ... لتطوى كثيراً من الآراء الفلسفية التى جاشت فى صدر نابليون من بعده بألفى عام .. فى سبيل الامبراطورية التى يمتزج فيها الشرق والغرب .

.. أنا لا أرتاح كثيراً الى النواحى الحربية فى التاريخ .. وهذا الغض منى وليد عاطفتى وما عمدت اليه فى الحياة من لمس ألوان خاصة من الادب .. ولكنى كنت أدرس تاريخ حياة بعض اللغات حين دفعنى البحث الى الاسكندر فوقفت أتمعنه من الناحيتين الادبية والتاريخية لاستخلاص من حياته ماقدمته لك .. فلقد رأينا ان الاسكندر تعلم على أرسطو ثلاث سنوات الآداب والفنون بل والشعر .. وأنه كان يتوقد فى صباه نشاطاً وأمالا وأن تثقيفه أفاده فى حياته الحربية وغيرها .. فقد كان الاسكندر يعنى عناية قوية بكل ما يتصل بالامم التى يغزوها .. فلما نزل مصر مثلا فكر فى بناء الاسكندرية على نمط راقٍ وخططها بنفسه لتكون حلقة اتصال بين الثقافة اللاتينية والشرقية والتجارة بين الشرق والغرب .. وقد كان الاسكندر يحلم كذلك بتأسيس ملك مشيد متماسك البناء .. كما كان يسند البطولة الى نفسه لانه كان يحس بأن فيه ألوانا من مزايا البطولة .. ولم يكن الاسكندر كسابق قواد التاريخ القديم هداماً أو مخرباً فقط .. وان كان قد لجأ الى شئ من هذا فانما دفعته شهوة الانتقام من الفرس أو من استهانوا به من القبائل أحيانا الى اخضاعها .. — ولكنه كان لا يفتأ يشيد دعائم ملكه بالاصلاح كما حاول ذلك فى مصر وبابل وغيرها .

ولكن هذا الاسكندر العظيم أيضاً .. وقد بدت فيه طوال الانتصار شيئاً من الغرور القاتل [illegible] فاندفع فى تيار [illegible] من النزق .. واشتد عليه الغرور وكاد يفسد مكامن النبوغ فيه [illegible] ولكن الاسكندر مات فى شرخ شبابه وفى صباه وذروة مجده ، وأكاد أعتقد أنه لو عاش حتى هذه الحياة المستوية الناضجة منه لأنشأ [illegible] بنفسه أمبراطوريته العريضة تتداعى أركانها أمام عينيه وهو بين الجوارى .. والقواد [illegible] يستشف الخمر كالمجنون !

محمود عزت موسى

العراق

لمكاتب السياسة الاسبوعية الخاص

بغداد فى ١٢ كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٩٢٩

جلالة الملك فى مدرسة البنات

زار صاحب الجلالة الملك فيصل الاول أمس الاول مدرسة البنات المركزية ودار المعلمات ومدرسة روضة الاطفال وهى المدارس المقيمة فى بناية واحدة وتفقد سير التعليم والدراسة فيها . وقد سر كثيراً من العناية بالاشغال اليدوية والاعمال المتعلقة بالمرأة وتدبير المنزل كما ارتاح كل الارتياح من روضة الاطفال وتقدمها . ومديرة هذا الفرع الآن الآنسة زينب صادق المعلمة المصرية .

الاقتصاد فى الميزانية

تهتم الوزارات باعداد الميزانية الجديدة وتشدد عليها وزارة المالية فى الاقتصاد . وقد أوقفت جميع الزيادات فى الرواتب التى كان ينوى اضافتها هذه السنة ، وألحت فى التقليل من النفقات الاضافية على اللوازم والقرطاسية . وتنوى وزارة المالية الاقتراح بتخفيض عدد الموظفين فى بعض الدوائر .

اتفاقية تبادل المجرمين

تعقد قريباً بين العراق وبريطانيا اتفاقية تبادل المجرمين .

وقد دعيت حكومة العراق للانضمام الى اتفاقية الافيون الدولية واتفاقية مكافحة العملة المزيفة الدولية .

قضية شركة النفط

كانت شركة النفط العراقية (التركية) قد استمهلت من الحكومة سنتين لتنفيذ بنود المقاولة التى منحتها حكومة العراق الامتياز باستخراج النفط العراقى بموجبها ، وهذه المقاولة تحتم على الشركة انتقاء ٢٤ قطعة من منابع النفط التى تكتشفها وتحفرها وترك الباقى تعرضه الحكومة بالمزايدة لمن يتقدم للحصول على امتياز استخراجه . وكانت الشركة قد ماطلت وطلبت تمديد هذه المدة المنتهية الى خمس سنوات ، وأخيراً قامت الحكومة العراقية بانذار الشركة بوجوب تنفيذ أحكام المقاولة وانتقاء القطع الاربع والعشرين فى خلال مدة آخرها ٢٩ نوفمبر الماضى فلم تستمع الشركة وقد شعرت بتصلب الحكومة فى هذا الباب إلا أن تذعن وتعين القطع المذكورة فى الموعد المعين . وهكذا فازت الحكومة على الشركة .

عراقى يطوف حول العالم

يسافر هذا الصباح شاب عراقى موظف فى السكة الحديدية واسمه ابراهيم عسكر قاصداً الطواف حول العالم وينوى أن يعيش ويقوم بالرحلة من بيع بطاقاته كما يفعل بعض السياح الاوربيين .

مكافأة أسرة السعدون

قررت الحكومة مكافأة أسرة السعدون الذى انتحر فى سبيل وطنه بتخصيص راتب شهرى لها قدره الف ومائتا ربية على وجه دائم وتقديم خمسين الف ربية اليها كمنحة لشراء دار تقيم فيها .

وقررت وزارة المعارف أن تحمل تعليم ولده على الذى يدرس فى جامعة برمنجهام الآن على نفقتها بدل نصف أجرة التعليم التى كانت تدفعها له سابقاً .

ولا تزال التبرعات جارية لاقامة أثر تذكارى للفقيد .

حركة العمال فى بغداد

أقامت نقابة أصحاب الحرف والمهن حفلة شاى ألقيت فيها الخطب وكلها حث على الالتفات الى حقوق العمال وقيمة العامل فى المجتمع . ويبدى القائمون بهذه النقابة همة فى توسيع حركة العمال فى هذه البلاد .

ويسعى عمال المطابع بتأسيس نقابة لهم وقد عزموا على تقديم اكليل من الزهر على ضريح فقيد البلاد السعدون بك يوم الاربعين من وفاته .

لجنة الدفاع عن الدولة

تألفت لجنة الدفاع عن الدولة العراقية من رئيس الوزراء ووزير المالية ووزير الدفاع . وهى تشتغل فى أول الامر بتدقيق مشروع قانون التجنيد وبعد انجازه تنظر فى الشؤون المتعلقة بالدفاع عن البلاد اسوة باللجان التى من نوعها فى الاقطار الاخرى .